جوهر الحضارة الإسلامية

للدكتور إسماعيل راجي الفاروقي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

لا شك أن جوهر الحضارة الإسلامية هو الإسلام. ولا شك أن جوهر الإسلام هو التوحيد.

هاتان المسلمتان بديهتان. ولم تكونا موضع شك أبداً من قبل ممن ساهموا في هذه الحضارة أو انتموا إليها. وإن وضعها المستشرقون والمبشرون من أعداء الإسلام موضع شك في هذه الأيام، فنحن نوقن أن للحضارة الإسلامية جوهراً وأن جوهرها قابل للمعرفة والتحليل والوصف، وأنه هو التوحيد[1].

فالتوحيد هو الذي يعطي الحضارة الإسلامية هويتها. هو الذي يربط بين أجزائها. هو الذي يطبع كل ما يدخل إليها من عناصر فيؤسلمها ويصهرها فتخرج من عبورها في التوحيد متجانسة مع كل ما حولها. قديماً وحديثاً كتب مفكرونا آراءهم في جميع الميادين تحت عنوان التوحيد، وذلك لأنهم رأوا فيه المبدأ الأكبر الذي يشمل جميع المبادىء الأخرى،

---

(١) راجع نقد المؤلف للمستشرقين الذين وجهوا شكوكهم إلى حقيقة أن للإسلام جوهر معروف أو قابل للمعرفة. وذلك في مقالته بعنوان: «جوهر الاختبار الديني في الإسلام» (The Essence of Religious Experience in Islam) نشر في مجلة **Numen** في عددها ٢٠ (٣) بتاريخ ١٩٧٣، ص ١٨٦ ـ ٢٠١.

ورأوا فيه القوة الكبرى التي تفجرت عنها جميع المظاهر المكونة للحضارة الإسلامية.

التوحيد هو الشهادة عن إيمان بأن « لا إله إلا الله »، هذه الشهادة السلبية في مظهرها، والمختصرة « اختصاراً » لا اختصار بعده، تحمل أسمى المعاني وأجلها. فإن أمكن التعبير عن حضارة برمتها بكلمة واحدة، ان أمكن صب كل الثراء والتنوع والتاريخ في أبلغ الكلام ـ وهو أقصره طولاً وأكثره دلالة ـ كان هذا في « لا إله إلا الله » عنواناً للتوحيد، وبالتالي للحضارة الإسلامية.

التوحيد كتصور عام :

التوحيد تصور عام للحقيقة، بما فيها الدنيا كلها والحياة كلها والتاريخ كله. كتصور عام للحقيقة. يعني التوحيد المبادئ الخمسة الآتية :

١ ـ الحقيقة عالمان. عالم الله وعالم الخلق. ينفرد بعالم الله موجود واحد لا شريك له، هو الله جل جلاله. هو الخالق الوحيد، المنزه الصمد. أما عالم الخلق فهو عالم الزمان والمكان بكل ما احتوياه من موجودات وحوادث. ثنائية الحقيقة نهائية قاطعة. ينفصل العالمان عن بعضهما انفصالاً تاماً كونياً ووجودياً. لا يمكن للخالق أن يتحد أو يتصل وجودياً أو يحل أو يتجسد في المخلوق، ولا للمخلوق أن يتحد أو يتصل وجودياً في الخالق أو يسمو بنفسه إلى مرتبة الخالق[1].

---

(١) بهذا يخالف التوحيد الصوفية وبعض مذاهب الهندوكية التي أذابت الدنيا في الله ورفضت الاعتراف بأية حقيقة سوى الله، ففي هذا الرأي لا حقيقة ولا وجود ولا كيان إلا لله وحده، وأن العالم المخلوق وكل ما فيه لا وجود له ولا حقيقة له البتة، إنما هو خيال عابر. ويخالف التوحيد بالمبدأ ذاته المصريين والإغريق القدماء والطاوية والصينيين الذين أذابوا الله ـ تعالى سبحانه عما يصفون ـ في مخلوقاته وقالوا إنه هو فرعون بلحمه ودمه أو النبات الأخضر أو النيل بمائه أو الشمس بحرارتها وضوئها أو مجموع المخلوقات، أو أن كل مخلوق إله اذا انتفخت صفاته وتضخمت إلى درجة اللانهاية والعكس صحيح أي ليس الإله إلا المخلوق المتضخم الصفات. وقد ابتعدت المسيحية كل البعد عن التوحيد عندما ادعت أن الله حل في جسم بشر وتجسم فيه فأصبح المخلوق خالقاً. وإنها لميزة الإسلام الأولى أنه ركز على حقيقة العالمين أو الطبقتين ـ الله الخالق والعالم المخلوق ـ وعلى تمام انفصالهما عن بعضهما البعض طبعاً وطبيعة وأصلاً وفرعاً وبداية ونهاية، وبذلك تميز الإسلام وما سبقه من تراث التوحيد الذي جاء به الأنبياء من قبل، عن عالم الهند والصين المجاور شرقاً وعن عالم مصر والإغريق المجاور غرباً.

٢ ـ ولا صلة بين الخالق والإنسان المخلوق إلا بقوة العقل، وهي قوة فطرية تؤهل المخلوق لإدراك إرادة الخالق وحياً أو تعقلاً، وحياً إن أنزل الله كلامه المعبر عن إرادته، وتعقلاً إن أمعن النظر في المخلوقات فاكتشف سننتها وهي إرادة الله سبحانه[١].

٣ ـ لعالم الخلق غاية من وجوده، هي تحقيق إرادة الخالق، فالله لم يخلق عبثاً، ولم يخلق باطلاً[٢]، بل سوّى كل شيء خلقه وقدره تقديراً[٣].

فإرادة الله في خلقه ما عدا الإنسان تحقق بالضرورة وذلك بأن الله وضع تلك الإرادة سنة أو فطرة جبلة المخلوق[٤]. أما في الإنسان، فإرادة الله تتحقق باختياره فضلاً عن تحققها بالضرورة في جبلته. وللإرادة الإلهية التي تتحقق باختيار الإنسان مرتبة أعلى من مرتبة الإرادة المحققة بالضرورة. وهذا هو التفاضل القائم بين القيم الأخلاقية والقيم النفعية[٥].

٤ ـ طالما أن الخلق كله خلق لغاية فلا بد أنه قادر على تحقيقها[٦]. ففي الإنسان قوة على تغيير نفسه وتغيير مجتمعه وتغيير الطبيعة المحيطة به، وفي نفس الإنسان ومجتمعه ومحيطه الطبيعي قوة على تقبل

---

(١) يشير هذا المبدأ إلى انقطاع الصلة إطلاقاً بين الله والإنسان عن طريق الاتحاد أو الحلول أو التأليه. وأن كل ما يمكن أن يقوم من اتصال هو أن يأمر الله العبد فيسمع العبد القول ويطيعه، وهذا هو سبيل الوحي، أو أن يعقل الإنسان المخلوقات فيدرك أن لها صانعاً خلقها وقدرها، ومحركاً يقيها ويوجهها وأنه يجب أن يعبد ويطاع، وهذا هو سبيل التعقل. يخالف التوحيد بهذا المبدأ جميع مؤلهي البشر ومجسمي الآلهة من إغريق ورومان وصينيين وهندوكيين وبوذين ومسيحيين.

(٢) تؤكد هذا المبدأ الآيتان ٣ : ١٩١، ٢٣ : ١١٦.

(٣) ذلك مما جاء في الآيات ٧ : ١٥، ١٠ : ٥، ١٣ : ٩، ١٥ : ٢٩، ٢٥ : ٢، ٣٢ : ٩، ٣٨ : ٧٢، ٤١ : ١٠، ٥٤ : ٤٩، ٦٥ : ٣، ٧٥ : ٤، ٣٨، ٨٠ : ١٩، ٨٢ : ٧، ٨٧ : ٢ ـ ٣.

(٤) كما أشارت الآيات ١٧ : ٧٧، ٣٣ : ٦٢، ٣٥ : ٤٣، ٤٨ : ٢٣، ٦٥ : ٣.

(٥) فالعمل الصادر عن الطبيعة ـ أي بالضرورة ـ غير خلقي بمعنى أنه لا يستحق الجزاء، لا خيره ولا شره. إذ لا يجزى الإنسان على تنفسه أو هضمه، ولا على معروف أو منكر أكره عليه إكراهاً. وذلك بخلاف العمل الصادر عنه مع تمكنه عدم القيام به أو القيام بعكسه أو بعمل آخر مغاير له.

(٦) يؤكد ذلك ما أشير إليه من آيات في موضوع تسوية وتقدير الله لمخلوقاته (ذيل ٤ و ٥ أعلاه) وجميع آيات التكليف وتحميل المسؤولية التي لا تحصى لكثرتها في القرآن الكريم.

فعل الإنسان[1]. فالخلق كله عجين يقوي الإنسان على تكييفه، على جعله يحقق إرادة الله كما فهمها، على إعادة تخريجه كما ينبغي وتحويله إلى ما يجب أن يكون[2].

٥ ـ إذا كان الإنسان مكلفاً بتحقيق أوامر الخالق وقادراً على القيام به حق عليه الحساب، إذ بدونه تسقط جدية التكليف[3]. فالحساب قائم في التاريخ وبعده. يؤتي المستجيب للأمر، المحقق له، فلاحاً وسعادة ويسراً ويؤتي العاصي للأمر، عذاباً وإخفاقاً وضيقاً.

التوحيد كجوهر حضاري :

للتوحيد كجوهر حضاري جانبان : جانب أسلوبي وجانب فحوي. الجانب الأسلوبي يحدد الشكل الذي تنتظم به المبادىء المكونة للحضارة في التطبيق أو التحقيق. أما الجانب الفحوي فهو المبادىء نفسها المنتظمة بالشكل.

يتألف الجانب الأسلوبي من مبادىء ثلاثة الوحدة، والتعقل، والسعة. فهي التي تؤلف الشكل الجامع، الطابع للحضارة الإسلامية.

الجانب الأسلوبي :

١ ـ الوحدة :

لا حضارة بدون وحدة، أي بدون تعلق المفاهيم الفحوية ببعضها البعض بحيث تصبح نسقاً متجانساً واحداً. فالوحدة انتظام في إطار واحد تكون العلاقات داخله هرمية تفاضلية تشد بعضها بعضاً. وانتظام في الإطار الواحد هو الصهر الإسلامي. فالحضارة الإسلامية انبثقت عن غيرها من

---

(١) وهذا ما حملته آيات التسخير من معاني ١٣ ، ٢ ، ١٤ : ٣٢ ـ ٣٣ ، ١٦ : ١٢ ، ١٤ ، ٢٢ : ٣٦ ـ ٣٧ ، ٦٥ ، ٢٩ : ٦١ ، ٣١ : ٢٠ ، ٢٩ ، ٣٥ : ١ ، ٣٨ : ١٨ ، ٣٩ : ٥ ، ٤٣ : ١٣ ، ٤٥ : ١١ ـ ١٢.

(٢) كما تدل آيات التكليف العديدة.

(٣) آيات الحساب في كتاب الله عديدة جداً لا حاجة لاحصائها. فالإنسان لن يترك سدى (٧٥ : ٣٦) بل على الله حسابه (٨٨ : ٢٦ و ٤ : ٨٥).

الحضارات وأخذت منها. لكنها ليست مجرد جمع وإضافة، بل هضماً وتسوية وتخريجاً جديداً. فما من حضارة إلا خرجت من سابقاتها وتغذت بمواد جديدة غريبة عنها. لكنها هضمتها وسوتها فحولتها من جوهر غريب عن الحضارة إلى مادة فحوية تنتسب إلى الحضارة الإسلامية انتساباً عضوياً. والوحدة الأسلوبية هي وحدة المبادئ المؤلفة للجوهر، ووحدة الجوهر مع جميع الأعراض.

ولعل أسوأ ما نزل بنا من كوارث في العصر الحديث هو انتزاع وحدة الأسلوب من حضارتنا. وذلك بإدخال عناصر غريبة على حياتنا دون أن نصهرها ونسويها ونخرجها التخريج الذي يجعلها نسقاً متوحداً. فجمع الأفندي المسلم للإسلام من جهة وللزي غير الإسلامي ولبناء بيته بشكل غير إسلامي، وتأثيثه وتزيينه بالأثاث والتحف غير الإسلامية من جهة أخرى، وجمع ذلك الأفندي المثقف للدين الإسلامي من جهة ولأسلوب عيش وترفيه غير إسلامي أو لعلوم إنسانية واجتماعية تتناقض مع معطيات هذا الدين من جهة أخرى، وكذلك جمع الأفندي الجامعي للإسلام من جهة وللفلسفات الغربية من جهة أخرى معتقداً بأن الدين شيء والعلم شيء آخر، أو أن الدين شيء والسياسة شيء آخر. فذلك كله من الكبائر التي يأباها الضمير ويشمئز منها الذوق السليم.

فالتوحيد وحدة الله. ووحدة الله هي أنه وحده جدير بالعبادة أي بالطاعة. فإذا عاش الإنسان حياته مطيعاً لله محققاً لإرادته، لا بد لحياته من أن تتسم بوحدة من تدين له، فتأتي مرتبطة الأجزاء بخيط واحد بجمعها. وإذا ارتبطت أجزاؤها وتنسقت كانت ذات شكل أو أسلوب واحد.

٢ ـ التعقل :

التعقل مبدأ أسلوبي مؤلف لجوهر الحضارة الإسلامية. يتألف التعقل من ثلاثة بنود.

الأول : رفض ما يخالف الحقيقة.

الثاني : رفض استمرار المتناقضين.

والثالث : الانفتاح وتقبل الدليل المخالف.

فالبند الأول يحمي من الظن - إن بعض الظن إثم - ويطالب بموافقة الفكرة مع واقع الحقيقة[1]. والثاني يحمي من التناقض البسيط من جهة ومن الـ (بارادوكس) Paradox من جهة أخرى[2]. ليس التعقل إعلاء العقل على الوحي[3]، بل هو رفض استمرار التناقض بينهما. فالتعقل يرجع المتناقض عليه إلى العقل ليمعن النظر فيه تارة أخرى عله يكتشف فيه جانباً جديداً يزيل التناقض، كما يرجع قارئ الوحي - لا الوحي نفسه - إلى الوحي ليمعن النظر فيه عله يكتشف فيه معنى غاب عنه يعيد إلى تفهمه للوحي - لا إلى الوحي كوحي - حسن سياقه مع ما وصل إليه العقل. فاستمرار المتناقضين نهائياً لا يتقبله إلا ضعيف العقل. مبدأ التعقل الثالث، أي الانفتاح أمام الدليل المخالف يحمي المسلم من التزمت والتنطع، ويدفعه إلى التواضع الفكري. فالتعقل هو الذي يقرن حكمه دائماً بـ « الله أعلم » لأنه يعلم علم اليقين بأن الحقيقة أكبر من أن يلم بها كلها.

قلنا ان التوحيد هو الإقرار بوحدة الله. والله، هو الحق. فوحدته إذاً هي وحدة الحقيقة. هو مصدر الوحي وهو خالق الخلق الذي عقله الإنسان. وهو المحرك الموحي للإنسان بكل علمه. هو الذي يؤتي الحكمة لمن يشاء. والله جلا وعلا، منزه عن البداء، أي عن تغيير فكره، منزه عن الخطأ فهو العليم المحيط بكل شيء علماً. وهو منزه عن التناقض، عن إساءة الإعلام، تعالى عما يصفون علواً كبيراً.

٣ - السعـــة :

السعة كمبدأ أسلوبي هي حسن الظن بالظاهر إلى أن يثبت خَطَؤُهُ.

---

(١) نهى الله تعالى عن الظن في الآيات ٤ : ١٥٦ ، ٦ : ١١٦ ، ١٤٨، ١٠ : ٢٦ ، ٦٦ ، ٤٩ : ١٢ ، ٥٣ : ٢٣ ، ٢٨.

(٢) لا مرادف لهذه الكلمة بالعربية فهي خاصة بالتراث المسيحي الإغريقي وهي مركبة من كلمتين : « شبه » و « عقيدة » وتعني « كل ما يقبله المسيحي من عقائد يأباها العقل السليم ».

(٣) أعلى الفلاسفة العقل على الدين والوحي وجعلوه حاكماً، وهم طبعا على غير حق في هذا بل في ضلال مبين. للفكر الإسلامي أن يعرف العقل والتعقل تعريفًا مغايراً ينطلق منه. وهذا هو تعريفنا الذي عمل به سلفنا الصالح، أي : التعقل هو رفض التناقض النهائي.

فهي إذاً مبدأ معرفي، يقابله اليسر كمبدأ أخلاقي كما أن اليسر هو تقبل المرغوب فيه إلى أن يثبت فساده[1]. فالسعة الفكرية واليسر الأخلاقي يحميان المسلم من الانغلاق والتزمت ويدفعان به إلى الإقبال على مجالات جديدة ليجول فيها فكره ويعمل فيها ساعده. السعة واليسر تمهدان لإثراء فكر المسلم وإنجازه.

السعة كمبدأ أسلوبي في جوهر الحضارة الإسلامية هي الإيمان بأن الله لم يترك قوماً إلا أرسل إليهم نذيراً يعلمهم بأن يعبدوا الله[2] ويجتنبوا الطاغوت[3]، بل إن في فطرة البشر أجمع ما يؤهلهم لمعرفة الدين الحنيف القيم وإدراك أوامر الله وإرادته. فالسعة هي الإيمان بأن اختلاف الأديان وتعددها مرجعه التاريخ وما يؤثر فيه من تغيير وهوى. وهذا هو ما يجدر بالمسلم دراسته والاطلاع عليه بحثاً عن تلك الفطرة التي فطر الله الناس عليها[4] أو ذلك التنزيل الذي أنزله على عباده في جميع الأصقاع والأزمنة. حتى في الدين، إذاً، وهو أهم الحقول، تحل السعة مكان النقض المتقابل وتحول المجابهة إلى بحث علمي في تاريخ الدين المذكور. وفي الأخلاق يقوم مبدأ اليسر بإبعاد المسلم عن التنكر للحياة، ويحفظ له حسن تفاؤله رغم كل ما قد يعتري حياته من وهن ومصائب «إن مع العسر يسراً»[5]. وكما أمرنا الله بالتبيّن قبل الحكم[6]، أقر الأصوليون التجربة قبل الحكم على المرغوب فيه إن لم يكن مخالفاً بيناً لأمر الله.

---

(١) تدل على ذلك آيات التساؤل عن التحريم العرفي : ٥ : ٩٠ ، ٧ : ١٣ ، ٦٦ : ١، كما يدل عليه المبدأ الأصولي المجمع عليه بأن لا حرام إلا بنص، وذلك انطلاقاً من قوله تعالى : «وقد فصل لكم ما حرم عليكم» (٦ : ١١٩ ، ١٥٣).

(٢) وهذا ما تؤكده الآيات ٦ : ٤٢ ، ١٢ : ١٠٩ ، ١٣ : ٤٠ ، ١٤ : ٤ ، ١٥ : ٩ ، ١٦ : ٤٣ ، ١٧ : ٧٧ ، ٢١ : ٧ ، ٢٥ ، ٢٣ : ٤٤ ، ٢٥ : ٢٠ ، ٣٠ : ٤٧ ، ٣٧ : ٧٢ ، ٤٠ : ٧٠.

(٣) الآيات ٤ : ١٦٢ ، ٣٥ ، ٢٣. «وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله أنا فاعبدون» (٢١ : ٢٥).

(٤) كما أشارت الآية ٣٠ : ٣٠.

(٥) الآية ٩٤ : ٦.

(٦) الآية ٤٩ : ٦.

تنحدر السعة واليسر من التوحيد كمبدأ أخلاقي. فالله الذي خلق الإنسان ليبلوه حسن العمل، جعله حراً قادراً على التحرك في الكون مقبلاً عليه. فالأصل فيه الحركة لا الجمود[١].

الجانب الفحوي :

١ ـ التوحيد مبدأ ميتافيزيقي :

تعني الشهادة بأن « لا إله إلا الله » أن الله وحده هو الخالق، هو الموجد لكل شيء، هو الفاعل لكل حادث، هو الغاية من كل شيء هو الأول والآخر. فإذا شهد الإنسان بهذه الشهادة عن وعي وإيمان بمدلولها، أيقن أن كل ما يحيط به من حوادث طبيعية كانت أم اجتماعية أم نفسانية، كلها من فعل الله وتحقيقاً لغاية من غاياته. وهذا اليقين إذا وجد، لا يقوى الإنسان على مفارقة مفهومه ولو للحظة واحدة. فهو يعيش كل لحظات حياته تحت ظله. فإذا رأى الإنسان أمر الله في كل شيء وحادث، كان لا بد له من تتبعه لأنه أمر الله. فإذا تتبعه في الطبيعة، كانت العلوم الطبيعية[٢]. ذلك أن أمر الله فيها هو السنن التي فطرت عليها والتي لا تبديل لها[٣]. وإذا تتبع غاية الله في نفسه أو في مجتمعه كانت العلوم الإنسانية والاجتماعية[٤]. فإذا كان العالم كله مبنياً على هذه السنن التي هي إرادة الله وأوامره كان العالم في نظر المسلم حياً ينبض بأوامر هي المفسرة لكل ما يقوم فيه ويحدث. فتوحيد الله يعني انفراده بتسبيب الأشياء والحوادث، وهذا يعني تجريدها عن كل قوة أخرى.

---

(١) سيأتي بحث هذا الجانب بالتفصيل في ما يلي من صفحات.

(٢) لم تنشأ وتزدهر علوم الطبيعة في أي عصر ومكان إلا بافتراض المبدأ بأن الطبيعة مفطورة على سنن ثابتة لا تبديل لها. وهذا ما قدمه الإسلام وهو السبب المباشر لنمو العلوم الطبيعية في جوه. أما الاعتقاد المعاكس أي أن الطبيعة لا ثبات لها ـ فإنه ما يسمح للآلهة المجسمة في الطبيعة أو السحرة العاملين فيها بالتلاعب في حركتها ومقدراتها. ومثل هذه الطبيعة لا يمكن أن تؤدي دراستها وملاحظتها إلى علم.

(٣) وذلك خلافاً للتاريخ الذي يقف عند كل حادثة أو حقيقة معينة ليحللها ويتفحصها ـ إذ تهتم العلوم بما هو عام مشارك به من قبل المخلوقات كلها أو ما انتمى منها إلى فضيلة واحدة، أي بقانون الطبيعة الذي تسير عليه جميع الوحدات الخاصة بفصيلة أو طبقة معينة من الطبيعة.

(٤) كذلك في العلوم الإنسانية والاجتماعية حيث يبحث العلم عن القوانين المكونة أو المسيرة للإنسان في سلوكه الفردي والجماعي.

وتجريد الطبيعة عن كل قوة غير الله هو علمنتها وهذا هو الشرط الأساسي لقيام العلوم الطبيعية. فقبل علمنة الطبيعة بتجريدها عن سائر القوى، من سحر وآلهة وأرواح وقوى سرية، لم يكن العلم يقف على قدميه. أما في التوحيد، فقد جردت الطبيعة عن الآلهة والأرواح والقوى السحرية فأصبح العلم ممكناً[1].

ليست المسيحية دين توحيد، بل هي دين يؤكد تجسد الإله في الطبيعة، ويعتمد التناقض مبدأ للمعرفة. لذلك لم تنتج المسيحية علوماً طبيعية مدى ألف سنة تحكمت في عقول الناس. ولم ينتج المسيحيون العلوم إلا بعد أن تحرروا من عدم التوحيد الذي فرضته عليهم المسيحية وبعد أن انتقلت إليهم علوم المسلمين. وحكمت الهندوكية والوذية آسيا وجنوب شرقها مدى ألف سنة لم يتقدم أهلها إلى مستوى التفكير العلمي، ولكن ما إن أسلموا ووحدوا الله حتى حققوا وأنجزوا التي نراها في ازدهار العلوم عند المسلمين العرب.

التوحيد هو عكس الخرافة. والخرافة أو الأسطورة هي عدوة العلم والحضارة. التوحيد يجمع خيوط السببية ويرجعها إلى الله. وفي هذا الإرجاع تنظيم للأسباب وترابط لها يمكن الباحث من استقصائها واكتشاف علاقاتها. وذلك هو العلم بها والتمكن منها. وهما الشرطان اللازمان للانتفاع بها واستثمارها.

٢ ـ التوحيد مبدأ أخلاقي :

يقول التوحيد بأن الله الأحد خلق الإنسان وقدره وسواه ليعبده أي ليطيعه ويكون له خليفة في الأرض[2]. وقد حمله أمانته التي لم تقو السموات والأرض على أن يحملنها وأشفقن منها[3]. والأمانة هي تحقيق إرادة الله الأخلاقية. فالإنسان وحده قادر على تحقيقها لأنها تتطلب الحرية والاختيار والإنسان وحده حر مختار.

---

(١) عملا بقوله تعالى : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » (٥١ ـ ٥٦).
(٢) كما دلت الآيات ٢ : ٣٠ ، ٦ : ١٦٥ ، ١٠ : ١٤.
(٣) الآية ٣٣ : ٧٢.

لم يخلق الله الإنسان عبثاً ولن يتركه سدى. بل منحه حواسه وأحسن خلقه وأكمله، بل ونفخ فيه من روحه[1] ـ كل ذلك لتأهيله للقيام بهذا الواجب العظيم.

فهذا الواجب العظيم هو سبب وجود الإنسان، وهو غايته، وهو تعريفه، وهو معنى وجوده وحياته. فالإنسان مخلوق كوني، له أهمية كونية.. لأن الكون ليس كوناً بدون الجانب الأهم والأعلى من الإرادة الإلهية. ولا محقق لها سوى الإنسان في عمله الحر الاختياري الأخلاقي. فطوبى للإنسان أن يكون الجسر الكوني الذي تعبره إرادة الله الأخلاقية لتدخل التاريخ، ولتحقق في الزمان والمكان.

هذا التكليف الذي اختص به الإنسان لا يعرف حداً. فالوجود كله داخل ضمن نطاقه. جميع البشر هدف لعمل الإنسان الأخلاقي، وجميع الأرضين والأفلاك هدف ومجال له. هو مكلف بها جميعاً إلى أبعد زواياها وأصغر أعضائها. تكليفه عالمي، كوني، لا ينتهي إلّا يوم القيامة.

على هذا تقوم إنسانية الإنسان. فهو أكمل من الملائكة وأرفع منهم درجة لأنه يقدر على العمل الأخلاقي طوعاً. وشتان بين هذه الإنسانية وإنسانيات الحضارات الأخرى. فالإغريقية ألهته وألهت معه فساده. والمسيحية أسقطته وجعلته « كتلة خطيئة »[2] لتقدمه لإلهها تفسيراً لصلبه كعملية إنقاذ وتخليص. والهندوكية صنفته درجات وطبقات، من أسفل سافلين حيث لا يرجى أمل إلى طبقة البراهمة المقربين، دون أن يكون للإنسان ذاته حق في تقرير طبقته وذلك بتمييع شخصيته في انتقالها من جسد إلى جسد. وأما البوذية فقد حكمت على الإنسان والحياة كلها والوجود كله بأنه شر وفساد.

فالتوحيد فقط يقول بإنسانية الإنسان لأنه يحترمه كإنسان دون تأليه ودون تشرير.

---

(١) حسب ما في الآيات ١٥ : ٢٩ ، ٢١ : ٩١ ، ٣٨ : ٧٢ ، ٦٦ : ١٢.

(٢) على حد تعبير القديس أو غسطينوس، ومعناه « كتلة من الخطيئة ».

٣ ـ التوحيد مبدأ قيمي :

يقول التوحيد بأن الله سبحانه وتعالى خلق البشر ليبلوهم أيهم أحسن عملاً[(١)]، وأن عملهم سيرى[(٢)]، وأنهم سيجازون عليه خيراً إن كان خيراً وشراً إن كان شراً[(٣)]، ويقول التوحيد أيضاً أن الله استعمر الإنسان في الأرض[(٤)]، أي وضعه فيها ليسعى في مناكبها ويأكل من رزقها ويتطيب بطيبها ويتحلى ويتزين بحليتها وزينتها[(٥)].

هذه هي الإيجابية، الإقبال على الدنيا لأنها خير بريء صنعها الله وسخر كل ما فيها، بما في ذلك الشمس والقمر، كي يعمل الإنسان فيها عمله الأخلاقي ويحقق به الجانب الأعلى من الإرادة الإلهية. فالإنسان مكلف بإشباع غرائزه وحاجاته، بتوفير هذا الإشباع لبني البشر أجمع. هو مكلف بتنمية مواردهم الإنسانية إلى أقصى ما يمكن تحقيقاً لجميع طاقاتهم. وهو مكلف أيضاً بتحويل الأرض كلها إلى رياض وجنان، وله أن يفرقع القمر والشمس إن لزم[(٦)]. فعليه إدراك سنن الطبيعة وسنن النفس وسنن المجتمع وعليه أن يصنع ويصنع ويحول الدنيا إلى جنة تعلو فيها كلمة الله.

هذه هي الإيجابية المنشئة للحضارة، المؤكدة لحركيتها وتقدمها، فالتوحيد لا يعرف الرهبنة[(٧)]، ولا الانعزال عن الناس، ولا الزهد في الدنيا ولا التنكر لها. وليست الإيجابية الاقبال على الدنيا دون وازع. فالوازع هنا هو

---

(١) الآيات ١١ : ٧ ، ١٨ : ٧ ، ٤٧ : ٣١ ، ٦٧ : ٢.

(٢) الآيتان : ٩ : ٩٥ ، ١٠٦.

(٣) الآيات ٩٩ : ٧ ـ ٨ ، ١٠١ : ٦ ، ١١.

(٤) الآية : ١١ : ٦١.

(٥) الآيات ٢ : ٥٧ ، ١٧٢ ، ٥ : ٩٠ ، ٧ : ٣١ ، ١٥٩ ، ٢٠ : ٨١.

(٦) أو كما قال تعالى : « يا معشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا، لا تنفذون إلا بسلطان » (٥٥ : ٣٣).

(٧) الآية ٥٧ : ٢٧. بل أمرنا الله تعالى بقوله : « ولا تنس نصيبك من الدنيا » (٢٨ : ٧٧) وعلمنا سبحانه أن ندعوه بأن يؤتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة (٢ : ٢٠١ ، ٧ : ١٥٦)، وأنه تعالى سيستجيب لنا إن أحسنا (١٦ : ٣٠ ، ٣٩ : ١٠).

أمر الله، هو الأخلاق. والأخلاق لازمة للإيجابية إذ بدونها سرعان ما تناقض الإيجابية نفسها وتهدم كل ما أنجزته من بناء.

غالت الحضارة الإغريقية من قبل، كما تغالي الحضارة الغربية اليوم، في إيجابيتها. قالت إن كل ما في الطبيعة خير يرجى وأن كل ما يرجى أو يرغب فيه خير لأنه طبيعة. ولكن الطبيعة تناقض أجزاؤها بعضها بعضاً. فإن لم يكن هنالك وازع أخلاقي يحل التناقض ويضبط المتناقضين ويحسم خلافهما بما يعود على الإنسان والحياة بالخير والنفع فسد أمرها وتحولت إلى جحيم ـ يدمر فيه أعضاؤه بعضهم بعضاً تماماً كما حصل في جبل الألهة ـ أوليمبس وفَالْهَالَا.

ضمانة الإيجابية هي الأخلاق. والايجابية المهذبة بالأخلاق هي الحضارة. وهذا ما يعطينا التوحيد.

٤ ـ التوحيد مبدأ اجتماعي :

يقول لنا التوحيد بأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون[١]. وإنما المؤمنون إخوة، يتحابون في الله، ويتواصون بالحق والصبر[٢]، يعتصمون بحبل الله جميعاً ولا يتفرقون[٣]، يحتسبون بعضهم بعضاً فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر[٤]. يطيعون الله ورسوله[٥]. فالرؤيا واحدة، والشعور واحد، والعمل واحد. يجمعون في فكرهم، وفي تقريرهم، وفي موقفهم وشعورهم، وفي سواعدهم. أمتهم ثالوث من مراتب الإجماع، وأخوة عالمية لا تعرف لوناً ولا جنساً ولا هيئة، ولا تفرق بين الناس إلا بالتقوى[٦].

---

(١) الآيتان ٢١ : ٩٢ ، ٢٣ : ٥٣.

(٢) كما دلت سورة العصر (١٠٣) والآية ٤٩ : ١٠.

(٣) الآية ٣ : ١٠٣.

(٤) الآيات ٣ : ١١٠ ، ٥ : ٨٢ ، ٩ : ١١٣ ، ٢٠ : ٥٤ ، ١٢٨.

(٥) كما أمر الله تعالى في آياته الكريمة ٣ : ٣٢ ، ١٣٢ ، ٤ : ٥٨ ، ٥ : ٩٥ ، ٢٤ : ٥٤ ، ٤٧ : ٣٣ ، ٦٤ : ١٢.

(٦) حسب الحديث الشريف من حجة الوداع. المراد من الإجماع المثلث هو إجماع الرؤيا أو العقل والفكر، وإجماع الإرادة أو التقرير والنية وإجماع العمل أو السواعد.

فإذا علم أحد عليه أن يعلم غيره، وإذا طعم أحد عليه أن يطعم غيره، وإذا استقرأ وأفلح أحد عليه أن يعاون آخراً على الاستقرار والفلاح[1].

فلا توحيد إذاً إلا بالأمة. فالأمة هي مجال المعرفة، ومجال الأخلاق، ومجال الخلافة والإيجابية. والأمة نظام ينتظم فيه البشر حتى وإن لم يؤمنوا. فالأمة نظام سلام يدخل فيه كل من يرضى بحرية الفكر والدعوة إلى الحق من أفراد وجماعات. الأمة إذاً نظام دولي أفضل من الأمم المتحدة، لمدة الأمس القريب، القائمة على السلطان القومي ونسبية القيم، والمكتفية بمنع الحروب ولكن دون أن يكون لها وسيلة الجيش الرادع أو المدافع. وضع الرسول ﷺ لها دستورها في المدينة في أول أيام الهجرة، وأدخل فيها اليهود والنصارى مؤمناً لهم حريتهم وعقيدتهم ومعاهدهم وهُويَّتهم. وما من دستور عرفه التاريخ احترم الأقليات كما احترمها دستور الدولة الإسلامية.

فالأمة إذاً نظام سلام عالمي بالإضافة إلى كونه نظاماً اجتماعياً داخلياً. الأمة هي صرح الحضارة الذي لا غنى عنه. وكما قال فلاسفتنا في تمثيلهم العقل الإنساني بحي بن يقظان، كان لا بد لحي، بعد أن توصل إلى الحقيقة النهائية، وهي التوحيد، من أن يصنع مركباً يعبر البحر فيه بحثاً عن الأمة.

فالتوحيد هو الأمنيــة..

٥ ـ التوحيـد مبـدأ جمـالي :

يقول التوحيد بأن لا إله إلا الله، ويعني بذلك أن لا إله في الطبيعة والخلق. فكل ما في الخلق مخلوق، ليس من الله في شيء. فالله منزه عن خلقه تنزيهاً تاماً. ويقول التوحيد أن ليس كمثله شيء، ويعني بذلك أن كل ما في الخلق لا يمكن أن يكون مثلاً لله، لا حاملاً لصورته (ليس لله صورة)، ولا معبراً تعبيراً مرئياً عن الله.

ويقول الفن إن في كل شيء في الخلق، لا سيما في الإنسان (وبدرجة

---

(١) شبه النبي ﷺ المسلم بالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، وبالجسم العضوي الذي يتداعى كله إذا أصيب أي عضو منه بسوء ويعمل لنصرة ذلك العضو.

أقل في الحيوان والنبات) جوهر أولي ما ورائي، قائم بذاته، هو ما يجب على الشيء أن يكونه وان لم يكنه. فالفن هو اكتشاف هذا الجوهر وإعطاؤه الجسد المرئي المطابق له. فهو ليس مجرد نقل عن الطبيعة، بل هو استقراء لها عن جوهرها الماورائي وتصويره أو تمثيل ذلك الجوهر بما يلائمه من ملامح مرئية.

هذا الجوهر الماورائي الذي يهدف الفنان إليه، إلهي في طبيعته الماورائية. فهو جدير بالمحبة والإعجاب الشديد كلما اقترب من الألوهية لذلك جاء النحت الإغريقي تصويراً للآلهة قبل كل شيء. ولم يتدهور إلى تصوير البشر إلا في روما ولكن حتى هناك كان الامبراطور إلهاً مؤلهاً قبل أن تصنع له التماثيل. وكذلك جاءت الفنون المسرحية من دراما وتمثيل في الحضارة الإغريقية كلها تصويراً للآلهة في صراعها مع بعضها البعض. وحقاً قال المستشرق فون جروبناوم، إن الإسلام يفتقر إلى الفنون التشكيلية (من نحت وتصوير ودراما) لأنه خال من الآلهة المجسدة في الطبيعة والمصارعة لبعضها البعض أو لقوى الشر[1].

وقديماً قال اليهود بأن تنزيه الله تعالى يحرم صنيع التماثيل، وتوقفوا عند ذلك الحد فلم يأتوا بأي فن مرئي على الإطلاق[2].

لكن التوحيد لا ينكر الإبداع الفني، ولا يتنكر للجمال. على العكس إنه يؤثر الجمال أي إيثار ويرى الجمال كله في الله وفي كلامه. لذلك اندفع بحبه هذا إلى إبداع فن جديد.

فبما أنه يؤمن بالتوحيد ويقول أن لا إله إلا الله، يقضي الفنان المسلم بأن لا شيء في الطبيعة يحمل صورة الله أو يعبر عنه. لذلك أسلب كل ما صوره، أي أبعده عن طبيعته إلى درجة الإنكار، وقدمه بمثابة شهادته بأن لا إله في الطبيعة.

---

(١) مع الاعتذار للغة واللغويين. فالمعنى المطلوب ـ وهو المشتق من اعتبار الأمة المقولة السائدة التي يرجع إليها في كل شيء ـ لا تؤديه كلمة « أمية » ولا « جماعية » ولا « قومية » ولا « شعبية ».

(٢) راجع تفاصيل ذلك في مقال للمؤلف نشر في مجلة ستوديا اسلاميك الصادرة في باريس، بعنوان « الإسلام والفن » وذلك في العدد رقم ٣٧ الصادر سنة ١٩٧٣ ص ٨١ ـ ١٠٩.

وتأمل الفنان الموحد بأن عدم التعبير عن الله شيء والتعبير عن عدم التعبير شيء آخر، أي أن استحالة التعبير عن الله هي أسمى الأهداف الجمالية التي يمكن له أن ينشدها. ورأى أنه يمكن التعبير عن استحالة التعبير، وذلك يحمل ما يرى على الإيحاء باللانهائية، فاللانهائي هو المحال التعبير عنه.

وعليه أبدع الفنان المسلم فن الزخرفة الإسلامية وهي رسم يمتد في جميع الاتجاهات إلى ما لا نهاية له. فإذا تتبعه المشاهد وأدرك أنه لا نهاية له، أدرك معنى من معاني استحالة التعبير، وبذلك أدرك معنى من معاني التنزيه[1].

لهذا جاءت فنون المسلمين كلها تجريدية، إلا في القليل النادر الذي جاءت فيه مؤسلبة متنكرة للطبيعة وبالتالي للاعتراف بأي جوهر ما ورائي يكمن فيها.

* * *

هذا هو جوهر الحضارة الإسلامية. كلما وضحت رؤيانا له كلما استطعنا التمسك به، وبذلك، الصمود في وجه الحضارة الغازية. وكلما التزمنا به كلما هضمنا الحضارات الأخرى ومنجزاتها. وكلما اختصصناه بولائنا، كلما تمكنا من البناء والإبداع الحضاري.

والحمد لله الذي جعل التوحيد جوهر حضارتنا. فلا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحمد وله الملك، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير.

---

(١) انظر مقال المؤلف في مجلة الإسلام والعصر الحديث.
الصادرة في دلهي، بعنوان « في طبيعة العمل الفني الديني ». وذلك في العدد رقم ١ (٢) الصادر في آب ١٩٧٠ ص ٦٨ – ٨١.

(٢) إن رغب القارئ بالاستزادة في موضوع علاقة التوحيد بالفنون المرئية الإسلامية فعليه بمراجعة كتاب الدكتورة لمياء الفاروقي : التجربة الجمالية والفنون الإسلامية. نشر جمعية الإسلام والعصر الحديث، الجامعة الملية الإسلامية، دلهي الجديدة، ١٣٩٩/١٩٧٩.

تعقيبات المستمعين وأجوبة المحاضر عليها

الشيخ محمد الدريعي :

١ ـ يقول الأخ الشيخ الدريعي إن المحاضرة أخذت بالمنطقيات واعتمدت في أسلوبها على الفلسفيات، بينما لا تخضع أمور التوحيد لأي منها.

صحيح أن المحاضرة اعتمدت على المنطق وأن أسلوبها مركز لا حشو ولا زخرفة فيه، لكن قوانين المنطق هي قوانين الفكر، والنظر والتعقل. وقد عرفتها المحاضرة بمبادىء ثلاثة هي : رفض ما يناقض الواقع، وعدم تقبل النقيضين نهائياً، والانفتاح للدليل المخالف. فهل في هذا أو ما بني عليه ما يعيبه الشيخ ؟ وهل يسمح الشيخ لأي مفكر أن يخالف هذه القوانين ؟ إن عدم الالتزام بالمنطق وعدم التقيد بمبادئه لا يجيزه العقل السليم، والمفكر الذي يستجيب للشيخ بعدم الاعتماد على المنطق يحط بفكره إلى مستوى التفاهة.

٢ ـ يعترض الأخ الشيخ الدريعي بأن الله لا يوصف بالعالمية. وقد فعل المحاضر ذلك إذ قال بأن الحقيقة عالمان، عالم الله وعالم المخلوقات.

صحيح ما نسب للمحاضر من قول. إلا أن المحاضر أوضح أثناء إلقائه لمحاضرته المعنى الذي حمله لكلمة « عالم » وهو « نوع » أو « صنف » أو « طبقة » كمعنى كلمة (Class) بالانجليزية. وأوضح أيضاً أن

استعماله لهذه الكلمة استعمال منطقي بحت، لا وصفي، أي أن دلالة الكلمة هي أن هنالك نوعين من الحقيقة، نوع انفرد به الله سبحانه ونوع شاركت فيه جميع المخلوقات. فإذا كان اعتراض الشيخ فحوياً كان مردوداً أصلاً. وإن كان لغوياً فهو في غير موضعه لان لا مندوحة من استعمال كلمات اختبارية في الحديث عن الله تعالى. فأي كلمة تقال عن الله إذا حملت ما حمل الشيخ الدريعي كلمة المحاضر باءت بالرفض بحجة التشبيه. والأمر يتعلق بالتفهم الصحيح للأسلوب المنطقي للقضية.

٣ ــ يعترض الأخ الشيخ الدريعي على قول المحاضر بأن كلمة « لا إله إلا الله » تعني أن الله تعالى هو وحده الخالق الذي خلق العالمين وما فيها.

لا ينكر أن الكلمة المذكورة تعني أن الله وحده هو الله، كما لا ينكر أن الله خالق الكون وأن معنى الخلق مضمون في عبارة « لا إله إلا الله » قد يكون للشيخ انتقاد لو اقتصر المعنى على الخلق، ذلك أن الله فضلاً عن كونه خالقاً هو أيضاً رازقاً وفاعلاً ومتكلماً ورحيماً وقادراً.. إلى آخر صفاته. إلا أن أحداً لم يقل بهذا وبالتأكيد لم يقل ذلك المحاضر وجانب الشيخ الدقة في سماع المحاضر.

٤ ــ ويعترض الأخ الشيخ الدريعي أن المحاضر ساوى بين العبادة والطاعة بينما الحقيقة هي العكس أي أن العبادة شيء والطاعة شيء آخر، وأن لا عبادة إلا بالبراءة من الشرك.

يتبين من نص المحاضرة أن العبادة عرفت بالطاعة، لا العكس مما يدل على أن المحاضر يعتبر الطاعة أعم وأشمل وأوسع معنى من العبادة. وليست هنالك عبادة لم يأمر بها الله تعالى. إذ كل عبادة طاعة وتنفيذ لأمر من أوامر الله تعالى. ومع أن العرف الإسلامي يقضي بأن ليست كل طاعة عبادة، إلا أن الروح الإسلامية تميل إلى اعتبار جميع العبادات كأعمال ذات أبعاد غيرية، اجتماعية واقتصادية وسياسية وتربوية.. الخ أما توحيد الله، والصلاة والزكاة والصوم والحج ــ وهي المعاني المألوفة المكونة لكلمة « عبادة » فهي أيضاً طاعات أمرنا الله تعالى بالقيام بها (راجع بهذا

الخصوص مقال المحاضر في مجلة المسلم المعاصر عدد (١٠) سنة ١٣٩٧، ص ٢٥ ـ ٣٨).

٥ ـ ويعترض الأخ الشيخ الدريعي على قول المحاضر بأن التوحيد ينطوي على الإيجابية والإقبال على الحياة لا التنكر لها والاعتزال عنها، ذلك أن الزهد في الدنيا طيب، يحترم كرامة الإنسان، وأن من يقوم عليه فقد أنعم الله عليه نعمة كبرى.

ليس الزهد عكس الإيجابية ولا هو يساوي التنكر للوجود والحياة والاعتزال عنها، إنما هو الابتعاد عن حطام الدنيا وملذاتها، وعدم الانغماس في طلبها على حساب القوانين الأخلاقية وان قل تعدي هذا الانغماس على تلك القوانين، ولسنا بصدد بحث هذا الموضوع فقد جانب الشيخ الصواب في فهم المطلوب أو لعله فاته ذلك. التنكر المعني هنا هو الحكم المسبق بأن الوجود كله شر وأن خير الإنسان في رفضه أو المرور به بأقصى السرعة دون المحاولة لإعادة بنائه وتركيبه على أي شكل كان. وهذا هو مبدأ البوذية الأول، وتقول به بعض المذاهب الهندوكية كما تقول به أحياناً المسيحية. فشتان ما بين التنكر وما يمليه علينا التوحيد من حمل مسؤولية خلافة لله في الأرض.

* * *

الدكتور عبد الله العجلان :

١ ـ اعترض الأخ الدكتور العجلان بأن المحاضر لم يميز بين إرادة الله تعالى ومشيئته في حديثه عن قوانين الطبيعة.

لا شك أن التمييز مستحسن. فالأفضل أن نسمي « مشيئة الله » كل السنن الدائمة التي لا تتغير والتي فطر الله مخلوقاته عليها، ونسمي إرادة الله كل ما أمر به سبحانه وتعالى وأراد لعباده أن يقوموا به من أفعال.

٢ ـ ويعترض الأخ الدكتور العجلان على قول المحاضر بأن الأمة ينتظم فيها المؤمنون وغيرهم من نصارى أو مشركين.

لم يقل المحاضر هذا قط. فالمشركون ليسوا من الأمة الإسلامية في

شيء، وإذا اعتبرنا الأمة كوجود سياسي عالمي كان لا بد من انتظام المسيحيين واليهود والصابئة وغيرهم من أصحاب الديانات المنزلة إذا عاهدوا المسلمين على التعايش معهم بسلام ودفعوا الجزية لهم. وقد أقر لهم سلامتهم وطمأنينتهم سيدنا محمد ﷺ في ميثاق المدينة وهو دستور الدولة الإسلامية الأولى، كما أقرها لهم الخلفاء الراشدون في عصر الفتوحات. والجانب السياسي للأمة جانب مكون لا غنى لها عنه.

٣ ـ واعترض الأخ الدكتور العجلان على إدخال نظرية الجمال ضمن المعاني التي يشملها التوحيد، محتجاً بأن الجمال ليس ضرورياً وأن لا أهمية له في البحث عن الحضارة وجوهرها وأنه، أي الجمال، يدعو إلى تشبيه الله تعالى بخلقه.

خلافاً للدكتور العجلان نؤكد أن الجانب الجمالي يكون عنصراً مهما جداً من أية حضارة. لا سيما الحضارة الإسلامية. ومن منا يستطيع أن ينكر ما للقرآن الكريم من إعجاز لا يمكن فهمه ولا تقديره إلا بفهم معنى الجمال الأدبي ؟ أو أن ينكر ما للخط العربي والعمارة الإسلامية من أهمية في الحضارة، واتصال مباشر بمعنى الجمال. فإما أن تكون الفنون الإسلامية غريبة، مقتبسة عن الغير أو أن تكون إبداعات المسلمين بوحي من عقيدتهم وإيمانهم وثقافتهم التي كونها لهم الدين الحنيف. إن احتقار المسلمين للفن سبب من أسباب تدهور الفنون عندهم اليوم وعامل من عوامل انحطاطها. ومما يؤسف له أن علاقة الإسلام كدين وعقيدة كتوحيد وإيمان، بنظرية الفن والجمال، موضوع ظريف للغاية لم يطرقه أحد من مفكري الإسلام. وقد طرقه أعداؤنا وفظعوا فيه أبشع تفظيع وأخذ محدثونا يتداولون آراء العدو ويعملون بها مما يجعل الخوض في هذا العلم واجباً جهادياً مقدساً في هذا العصر.

الدكتور جعفر شيخ إدريس :

١ ـ اعترض الأخ الدكتور جعفر على قول المحاضر بأن الاتصال بالخالق لا يقوم إلا بالتعقل والتفكر، وذلك بدليل ما أثبته القرآن الكريم من رؤيا الله في الآخرة. والرؤيا معرفة مباشرة اختبارية لا فكرية ولا تعقلية.

لا شك أن المؤمنين الصالحين سيرون الله تعالى في الآخرة رؤية مباشرة اختبارية وذلك بدليل الآية ٧٥ : ٢٢ التي كانت مدار بحث طويل بين المعتزلة، وغيرهم من المؤمنين. لكن حديث المحاضر منوط بالدنيا وحياة الإنسان فيها. والبحث هو في الحضارة الإسلامية، أي في التاريخ، في الزمان والمكان، ولم يتطرق إلى الآخرة. ففي الدنيا وفي التاريخ، لا اتصال بالله تعالى عن طريق الحس، ولا عن طريق تأليه الإنسان، ولا تجسيم الله ولا حلول الله في جسم أو عقل أو شخصية أحد من المخلوقات بالأخلاق. وهذا معنى أصيل للتوحيد.

٢ ـ واعترض الأخ الدكتور جعفر على قول المحاضر بأن البون شاسع بين الله والخلق بان تفارق الحقيقتين (حقيقة الله وحقيقة الخلق) مطلق. فإن صح ذلك استحال أن يكون الله قريباً رؤوفاً رحيماً.

إن البون الشاسع الذي يفصل بين الله وخلقه بون وجودي، كياني، لا بد من كونه مطلقاً إذا أردنا المحافظة على التنزيه أو التوحيد. إذا امتزج الله بأي طرف منه بأي مخلوق انتهى التنزيه وقضى على التوحيد، لكن هذا التفارق الوجودي لا يحول دون الاتصال الفكري من جهة المخلوق، كما لا يحول دون رحمة الله أو كلام الله أو عفو الله. فالله سبحانه قدير، فعّال لما يريد.

٣ ـ دعم الأخ الدكتور جعفر اعتراضه السابق بدليل أن هناك اتصال وجداني يقوم بين العبد وربه إذا بلغت تقواه درجة عالية. ومن المؤكد أن مثل هذا الاتصال لا يقوم بالعقل أو الفكر.

لا ينكر قط أن الاتصال بالله ممكن عن طريق ما سماه الدكتور جعفر بالوجدان، ولعل مثل هذا الاتصال هو نفسه الاختبار الديني الأولي، لكن الوجدان، وطريقته الخاصة به، ليست إلا فرعاً من فروع المعرفة، طبعاً هي تختلف عن المعرفة الحسية. وتختلف أيضاً عن المعرفة المنطقية أو النظرية وهي أقرب ما تكون إلى المعرفة الحدسية. إلا أنها بالرغم من ذلك معرفة، لا وجود. والذي أكدته المحاضرة هو أن التوحيد ينكر الاتصال الوجودي بالله، أي أن الاتصال به تعالى، مهما كان نوعه ومهما بلغت

درجته، لا يمكن أن يؤدي إلى أي نوع من التواجد الكياني، أي أن به، لا يصبح العارف المعروف ولا المعروف العارف. وكل ما عدا ذلك يوقع صاحبه في الشرك إما بتجسيم الله أو بتأليه الإنسان سواء سمى حلولاً أو إشراقاً أو بالأوضح اتحاداً أو تجسيماً أو تأليهاً تعالى سبحانه عما يصفون علواً كبير.

٤ ـ واعترض الأخ الدكتور جعفر على قول المحاضر بأن حقيقة الخلق حقيقة تامة توازي حقيقة الله كحقيقة تامة أخرى. ودعم اعتراضه هذا بحجة أن الله وحده موجود حقيقي، بل إنه هو الوجود الحقيقي كله. وأنشد : « ألا كل ما عدا الله باطل ».

الحق هو أن المحاضر لم يقل بأن عالمي الله والخلق حقيقتان تامتان متوازيتان أو متساويتان. الفرق بينهما هائل، بل ان تغايرهما مطلق. الله خالق والخلق مخلوق. الله منزه والخلق مختبر. الله أبدي لا بمكان، والخلق مؤقت وخاضع في مكان. الله أزلي، صمد لا يتغير، والخلق سنته التغير والتقلب. إذاً العالمان متفارقان متغايران إطلاقاً. ولكن كون الخلق خلقاً لا يجعله معدوم الوجود أو عـدماً أو خيـالاً. فهو ليس الخيال الذي يدعيه الهندوكيون والبوذيون، وهو أيضاً ليس جسم الإله أو موضع تجلية أو ظاهرة من ظواهره كما ادعى المصريون القدماء والإغريـق والمسيحيـون بخصوص يسوع المسيح وخلفائه أساقفة روما والكنيسة المسيحية التي يطلقون عليها اسم « جسم المسيح الإله الطاهر في التاريخ » ان التقليل من حقيقة الخلق يؤدي حتماً إلى الاستهتار به. فالتقليل من حقيقته هو تقليل من قيمته بالضرورة. ولا يمكن أن نعطي خلافة الله في الأرض واستعماره للإنسان فيها وتحميله أمانة السموات، إذا أنقصنا قيمة الخلق بانقاص حقيقته كذلك إذا غلونا في قيمة الخلق وقعنا في شرك.

وعلى كل حال، كل ما يعنينا في هذا البحث هو تأكيد مغايرة الخلق لله وبالتالي ثنوية الحقيقتين. صحيح أن كل الخلق فان في يوم من الأيام لا يعلمه إلا الله، وأن في ذلك اليوم لن يبقى سوى وجه ربك ذو الجلال والإكرام. ولكن هذا لا يعني وحدة الوجود التي ابتدعها ابن العربي. الله حق، والخلق حق، وتكليف الإنسان بحمل الأمانة وتحقيقها في الخلق، أي في الزمان والمكان، حق.

تعليقات على محاضرة

جوهر الحضارة الإسلامية

للدكتور إسماعيل راجي الفاروقي

بسم الله الرحمن الرحيم

سعادة الأخ الدكتور / أحمد عبد القادر باحفظ الله
الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي

حفظـــه الله

السـلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد :

بناء على خطابكم ذي الرقم ٧٤٥ وتاريخ ١٤٠٠/٢/١٠ هـ الخاص بتكوين مرئيات عن محاضرة الأستاذ الدكتور / إسماعيل راجي الفاروقي ـ التي ألقاها أثناء انعقاد اللقاء العالمي الرابع للندوة.

أولاً : أشكر لكم حسن ثقتكم بأخيكم وحسن ظنكم به، وأسأل الله أن أكون عند هذا الظنّ.

ثانياً : قرأت هذه المحاضرة، وعلقت على ما فيها مما رأيته يحتاج إلى تعليق في هوامش الصفحات ـ وأرجو إن كنتم تعتزمون طبعها أن تعدل على النحو الذي يبرئ كاتبها مما يحتمل أن يوصف به لو بقيت على حالها.

ثالثاً : أود أن أثبت هنا بعض المآخذ على المحاضرة من وجهة النظر الإسلامية كما بدا لي وفوق كل ذي علم عليم. وهذه المآخذ مرتبة حسب ورودها في صفحات المحاضرة.

١ ـ يعرف التوحيد بأنه جوهر الإسلام، والإسلام بأن جوهره التوحيد ص ١ س ٢.

وهذا التعريف للتوحيد أو للإسلام تعريف مجازي من شأنه أن يدخل على القارئ شبهة وبخاصة إذا لم يكن من أهل الاختصاص.

فتعريف الإسلام معروف وكذلك تعريف التوحيد.

٢ ـ عاد فعرف التوحيد مرة ثانية ص ٢ س ٣. تعريفاً مخالفاً لما هو معروف في كتب التوحيد وكتب علم الكلام، إذ جعله تصوراً عاماً للحقيقة. وليس ذلك بصحيح، وإنما التوحيد هو :

الإيمان بالله وحده لا شريك له، ويتضمن توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية ـ على ما بين النوعين من فروق دقيقة معروفة.

٣ ـ قال : إن الحضارة الإسلامية انبثقت عن غيرها من الحضارات ص ٤ س ٣ ـ ٤.

وفي هذا الكلام ما فيه من الخطورة إذ الحضارة الإسلامية هي الدين الإسلامي كله، نظمه ومنهجه وآدابه وسلوكه وكل ما أمر به وكل ما نهى عنه ـ وذلك كله من عند الله ليس لأحد من البشر فيه شيء ـ فكيف تنبثق الحضارة الإسلامية، التي أكملها الله وأتمها ورضيها للبشرية ديناً، عن غيرها من الحضارات، حتى القول بأن الإسلام منبثق عن غيره من الأديان مرفوض، لأن تلك الأديان لم يكملها الله، فكيف ينبثق الكامل من غير الكامل ؟

٤ ـ يقول الباحث : « فالسعة هي الإيمان بأن اختلاف الأديان وتعددها مرجعه التاريخ وما يؤثر فيه من تغيير وهوى.. ص ٦ س ١٦ ـ ١٨.

وهذا كلام غاية في الخطورة وفي غاية الباطل، لأن اختلاف الأديان مرجعه إرادة الله سبحانه، إذ الأديان كلها من عند الله سبحانه، أما قول الباحث فمعناه أن الأديان من صنع الإنسان، وتلك فكرة الحادية معروفة، معروف من يرددونها، ومعروف هدفهم وغايتهم، وما أظن الباحث الا يردد ما هو شائع ومعروف في كتابة الأجانب عن الإسلام دون تدقيق في مراجعه، ولو دقق ما قال ما قال.

٥ ـ يقول الباحث : « ... حتى في الدين وهو أهم الحقول، تحل السعة مكان النقض المتقابل وتحول المجابهة إلى بحث علمي في تاريخ الدين المذكور » ص ٦ س ٢٠ ـ ٢١.

وقد يرد هذا في أي دين من الأديان إلّا الدين الإسلامي ـ مع أن الباحث عمم ـ ذلك أن الله سبحانه قد تكفل بحفظ الدين الإسلامي، فكيف يستقيم ذلك في الدين الإسلامي، وليس هناك من غموض أي غموض في تاريخ الإسلام وهو حياة الرسول ـ ﷺ وسيرته ـ إذاً القدوة فيه وحده ـ وسيرة الرسول ﷺ ـ معروفة بتفصيل لم تعرف به سيرة أي رسول من رسل الله سبحانه.

٦ ـ يقول الباحث : « تنحدر السعة واليسر من التوحيد كمبدأ أخلاقي » ص ٧ س ٥.

في هذا الكلام نظر، والأخذ به يؤدي إلى الشرك والعياذ بالله. لأن معنى انحدار اليسر من التوحيد هو تقبل المرغوب فيه إلى أن يثبت فساده ـ على حد قول الباحث ـ ويترتب على ذلك أن يكون التوحيد محتملاً لأن يثبت فساده في المستقبل وذلك أبطل الباطل وأضل الضلال.

٧ ـ قال الباحث : « وتجديد الطبيعة عن كل قوة غير الله هو علمنتها » ... ص ٨ س ٣.

وهذا مفهوم جديد للعلمانية خطير يترتب عليه جعل التوحيد نفسه علمانية ـ ولا قائل بذلك.

٨ ـ قال الباحث : « التوحيد هو عكس الخرافة... » ص ٨ س ١٦.

وهذا الكلام غير مقبول لأنه غير صحيح : إذ هو تعريف سالب للتوحيد وعلينا معشر المسلمين، ونحن نعرف ـ والحمد لله ـ علومنا الأصلية في الإسلام أن نتقيد بمصطلحاتنا الإسلامية في تعريف علومنا، لا أن نلجأ في ذلك لمصطلحات غير المسلمين.

٩ ـ قال الباحث : « .. ولا محقق لها سوى الإنسان في عمله الحر الإختياري » ص ٩ س ١١.

هذا باطل من القول. لأن الإرادة الإلهية تحقق بالإنسان وبغير الإنسان، بل لا يتوقف تحقيق الإرادة الإلهية على شيء بعينه، وتلك شنشنة نعرفها من أخذم – رددها من قبل بعض الفلاسفة في شطحاتهم الخارجية عن طريق أهل السنة والسلف الصالحين.

١٠ – قال الباحث : « أمتهم ثالوث من مراتب الإجماع » ص ١٢ س ٤.

وهذا التعبير « ثالوث » تعبير كنسي معروف بغيض الينا – معشر أهل التوحيد – إذ يرمز إلى فكرة إشراكية الحادية تزعم أن الله ثلاثة.

فالأولى طرح هذه التعبيرات من الحصيلة اللغوية إطلاقاً وبخاصة إذا كان الباحث مسلماً موحداً.

١١ – قال الباحث : « وضع الرسول لها دستورها.... وأدخل فيها اليهود..... » ص ١٢ س ١٥ – ١٧.

والحق أن الرسول – ﷺ – لم يضع دستور الأمة وإنما تلقاه عن ربه وحياً يوحى ما زاد فيه ولا نقص منه، لأن هذا الدستور هو القرآن الكريم.

وكلام الباحث في غاية الخطر والخطأ والخطل لأنه ترديد غير مباشر لقول أعداء الإسلام بأن محمداً – ﷺ – هو الذي وضع القرآن. تردد هذا في كثير من دراسات أعداء الإسلام ولا يحتاج إلى تنبيه.

١٢ – ينقل الباحث عن جروبناوم قوله : « إن الإسلام يفتقر إلى الفنون التشكيلية من نحت وتصوير ودراما لأنه خال من الآلهة المجسدة.. ». ص ١٣ س ٢١.

دون أن يعلق على خطأ هذا القول، فكأنه بذلك يقر عدو الإسلام جروبناوم على خطئه، فمن المعروف أن الإسلام لا يفتقر إلى شيء وقد أكمله الله وأتمه، والافتقار نقص وقصور.

١٣ – يقول الباحث : « فن الزخرفة الإسلامية ». ص ١٤ س ١٥.

ومن الواضح لدى علماء الإسلام أنه لا يوجد شيء اسمه زخرفة

إسلامية، وإنما يقال : فن الزخرفة عند المسلمين. والفرق بين التعبيرين واضح جداً.

١٤ – في البحث أخطاء أخرى في استعمال بعض الكلمات مكان بعض، وفيه أخطاء نحوية ولغوية كثيرة، نبهت إليها جميعاً في صلب البحث.

اقتـــراح :

أقترح – والرأي لكم أولاً وأخيراً – عدم نشر هذه المحاضرة لعدة أسباب :

أولاً : ما تضمنته من أخطاء كثيرة.

ثانياً : ما تضمنته من آراء خاطئة لأعداء الإسلام في الإسلام دون تعليق من الباحث.

ثالثاً : ما يحتمل أن تثيره من تساؤلات، بل مشكلات في أوساط العلماء إذ أن كتب الندوة توزع على نطاق واسع.

رابعاً : ليس في المحاضرة جديد قيّم يستحق كل هذه المخاطر في تحمل مسئولية نشرها.

والله من وراء القصد..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. ،،

أخـوكـم

د. علي عبد الحليم محمود

كلية اللغة العربية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى سعادة الدكتور أحمد عبد القادر باحفظ الله
الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي رعاه المولى ونفع به
من عبد الفتاح أبو غده ..
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

وبعد .. تلقيت كتابكم ذا الرقم ٧٤٥ والتاريخ ١٠/٢/١٤٠٠ هـ وفيه تطلبون مني إبداء ما أراه مناسباً ومفيداً بالاستدراك أو التوضيح أو الإضافة في محاضرة الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي (جوهر الحضارة الإسلامية).

وتلبية لرغبتكم الأخوية الطيبة نظرت فيها وبدت لي الملاحظات التي ترونها في الصفحات التالية أبعث بها إليكم لتروا ما ترون فيها أنتم أو الدكتور الفاروقي.

والمحاضرة فيها جهد ظاهر ملموس وهذه الملاحظة التي أبديتها تتوخى رفع الاشتباه أو دفع الخطأ الذي لا يسلم منه الناقد والمنقود فأرجو أن تحمل عباراتي على هذا الوجه والله ولي التوفيق.

وقد تأخرت عن الشهر المؤقت للنظر فيها لأنني كنت في غمرة أعمال جامعية جاثمة أمامي وعنَّ لي الاعتذار عن النظر فيها لكثرة الأعمال

وضيق الوقت فمعذرة عن تأخري هذا ودمتم بالخير والتوفيق والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١٨/٣/١٤٠٠ هـ

أخـوكـم

عبد الفتاح أبو غـده

* * *

ملاحظات

١ ـ الصفحة (٢) يقول : (الحقيقة عالمان : عالم الله وعالم الخلق...) لا يسوغ أن يقال : (عالم الله) لأن العالم يحتوي عـدداً من نوع متجانس مثل (عالم الخلق) والله سبحانه فرد واحد لا شريك له، فلا يصح أن يقال (عالم الله). وقال أيضاً : (ينفرد بعالم الله موجود واحد لا شريك له)، وأبدى في (التعقيبات والأجوبة) ص ٢٢ ـ ٢٣ بيان المراد بلفظ (عالم الله) ثم قال : (فإذا كان الاعتراض فحوياً كان مردوداً أصلاً، وإن كان لغوياً فهو في غير موضعه لأن لا مندوحة من استعمال...) إلى أن قال : (ولعل عدم إلمام الشيخ بالأسلوب المنطقي هو ما حال دون تفهمه لما قيل).

أقول : مراعاة اللغة بالنظر إلى التعبير عن الله تعالى واجبه، ومع الإلمام بالمنطق لا يقبل هذا التعبير في جانب الله تعالى لأن العلماء قرروا تبعاً للنصوص القاطعة أنه لا يجوز أن يوصف الله إلّا بما وصف به نفسه ومثل هذا التعبير (عالم الله) يوهم خلاف معتقد المسلم، وإن كان الكاتب حاول تسويغ هذا التعبير فمحاولته لا تنفي عدم سواغيته.

ثم قوله بعد ذلك : (ثنائية الحقيقة نهائية قاطعة ينفصل العالمان عن بعضهما...) مبني على ذاك التصور أو التعبير الذي استساغه الكاتب وهو منتقد كما تقدم بيانه. وكذلك قوله في (الذيول) ص ١٦ في التعليقة ذات الرقم ٢ (... ركز على حقيقة العالمين أو الطبقتين : الله الخالق والعالم

المخلوق) يرد عليه ما سبق فلا يقال أيضاً : (الله طبقة) كما لا يقال : (الله عالم).

٢ ـ الصفحة (١٧) من (الذيول) يقول : (لا يجزى الإنسان على معروف أو منكر أكره عليه إكراهاً). هذا غير سليم فإن الإنسان يؤجر على المعروف يكره عليه لأنه يبقى معروفاً فالصدقة التي تقع من صاحبها المكره يحرز بها أجراً ولا ريب لأنها معروف في الواقع وفي نظر الشرع وإن كان مشوباً في طريق صدوره من صاحبه وفاعله فإن ذلك ينقص من أجره ومثوبته. وكذلك المنكر الذي أكره عليه فاعله، منه ما تصحبه المؤاخذة ومنه ما لا تصحبه.

٣ ـ الصفحة (٤) قوله : (فجمع الأفندي المسلم للإسلام... وجمع ذلك الأفندي... وكذلك جمع الأفندي الجامعي...) لم أفهم وجه اختيار لفظ (الأفندي) هنا ؟ فإن كان كما فهمته فالأولى أن يستبدل به لفظ (الفرد) فيقال : فجمع الفرد المسلم... وهكذا فيما بعده.

٤ ـ الصفحة (٥ ـ ٦) قوله : فوحدته إذاً هي وحدة الحقيقة) جملة موهمة لا داعي لبقائها هنا فيما أرى.

٥ ـ الصفحة (٦) قوله : (والله جل وعلا منزه عن البداء أي تغيير فكره. لفظ (فكر) لا يسوغ أن يضاف إلى الله تعالى فيمكن أن يقال : (عن تغيير علمه).

٦ ـ الصفحة (٦) قوله : (وهو منزه عن التناقض عن إساءة الإعلام) هذه الجملة غير واضحة وقد جعل قوله : (عن إساءة الإعلام) تفسيراً للتناقض وهو تفسير غير صحيح لغة وإفهاماً.

٧ ـ الصفحة (٩) : قوله (والأمانة هي تحقيق إرادة الله الأخلاقية). وقد تكرر هذا التعبير وكأنه تعبير كهنوتي فمدلوله غير واضح والأولى التعبير بلفظ واضح مفهم.

٨ ـ الصفحة (١٠) قوله : (وله أن يفرقع القمر والشمس إن لزم). ما معنى الفرقعة هنا ؟ والذي في « القاموس المحيط » : « فرقع : عدا عدواً شديداً ـ مولياً ـ وفرقع فلاناً : لوى عنقه وفرقع الأصابع : نقضها ـ أي

عركها حتى يظهر صوتها ـ فتفرقعت وافرنقعت والفرقاع بالكسر : الضرط والفرقعة كقنفدة : الإست والإفرنقاع : الفرقعة عن الشيء : الإنكشاف عنه والتنحي » انتهى.

٩ ـ الصفحة (١١) قوله : (كما حصل في جبل الآلهة ـ أوليمبوس وفالها لا) يحسن تفسير المقصود من هذا ليفهم المراد عند من لم يقف على هذه الأساطير.

١٠ ـ الصفحة (١٢) قوله : (أمتهم ثالوث من مراتب الإجماع) تعبير بعضه كهنوتي وبعضه فلسفي فاشتد فيه الإغلاق والغموض ولا يفهم المراد منه، وتفسيره في (الذيول) ص ٢٠ برقم ٤٢ (للإجماع المثلث) لا يفهم ولا يهضم إذا بقي كما هو.

١١ ـ الصفحة (١٣) قوله : يقول الفن : إن في كل شيء في الخلق لا سيما في الإنسان وبدرجة أقل في الحيوان والنبات، جوهراً ما ورائياً قائماً بذاته...). المعنى في هذا الكلام مقبول بعد فهمه ولكنه غير مأنوس في الأسلوب والعبارة.

ثم قوله : (جاء النحت الإغريقي تصويراً للآلهة قبل كل شيء. ولم يتدهور تصوير البشر إلّا في روما...). يريد بهذا معنى يتمم ما سبق في كلامه المقبول في الجملة ولكن العبارة لا يفهم المراد الحسن منها بسهولة ويسر...

١٢ ـ الصفحة (١٤) قوله : (لذلك أسلب كل ما صوره أي أبعده عن طبيعته إلى درجة الإنكار). الضمير في (طبيعته) يعود إلى الله جل جلاله وإضافة (الطبيعة) إلى الله غير سائغة هنا.

هذه الملاحظات التي بدت لي والمحاضرة في ذاتها حسنة الغاية والمقصد بلا ريب، ولكن اسلوبها فلسفي غامض غير مألوف، وكثير من عباراتها ليست عربية ولا تنزل على الوجه القياسي في العربية، فهذا في ذاته يضعف الاستفادة من المحاضرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

سعادة الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد :

فقد اطلعت على المحاضرة القيّمة التي ألقاها الأستاذ الدكتور / اسماعيل الفاروقي، والتي حاول فيها وضع نظرية شاملة عن جوهر الحضارة الإسلامية، وقد تدبرت موضوع المحاضرة وشكرت للأستاذ المحاضر رغبته في عرض الإسلام عرضاً جديداً يتفق مع عالميته وحاجة البشر إليه، ولا ريب أن الحقائق التي اهتدى إليها كثيرة وثمينة، ولكن أسلوب الأداء، وأحياناً طريقة التصور تخالف المألوف في ثقافتنا الإسلامية، وربما كان هناك خطأ علمي لم يقصد إليه الأستاذ، ولكنه يفهم من منهج البحث.

وأرى لو أنه صيغت بعض العبارات على نحو آخر لكان ذلك أضبط وأبعد عن الشبهات في موضوع دقيق. وقد وضعت خطوطاً تحت ـ جمل تثير التساؤل ـ

ففي الصفحة الأولى مثلاً وضعت كلمة التوحيد بأنها سلبية مظهرها ؟ وهذا مستبعد.

وفي الصفحة الثانية ـ القول بأن (الله عالم) (والخلق عالم آخر)، والأستاذ المحاضر يقصد إلى نفي وحدة الوجود. ولكن هذا التعبير مرفوض

من الناحية الإسلامية رفضاً تاماً فكلمة « عالم الله » لم تجيء على لسان كاتب مسلم خلال القرون كلها. والأفضل التعبير بأن المخلوقات عالم مغاير للذات الإلٓهية، له قوانينه وخصائصه، أما الذات الأقدس فوجوده وكماله شأن آخــــر.

وفي البند ٢ من الصفحة : يجب إعادة صياغة الجملة الأولى لتفيد أن الإنسان يتصل بالله عن طريق العقل، والقلب. ولا مجال لاتحاد أو حلول، فان العبارة التي ذكرها قلقة.

في الصفحة السادسة ـ يريد الأستاذ أن يقول : ان الدين عند الله واحد في أصوله، وقد تختلف الشرائع الفرعية لاختلاف العصور، ولكن الأستاذ صاغ هذا المعنى صياغة مرفوضة لما قد تثيرة من أوهام. وقبل ذلك في الصفحة نفسها يقول الأستاذ : ان الله منزه عن تغيير فكره ؟ ووصف الله بأن له فكراً أو عقلاً وصف مرفوض.

في الصفحة الثامنة ـ عبارة غامضة تقول : تجريد الطبيعة من كل قوة غير الله هو علمنتها، والمعنى غامض، ولعله يريد أن ما في الكون من قوى مودعة هي من الله وحده، وأن هذه القوى محكومة بقوانين دقيقة هي ما شاء الله لها، وعلينا تعلم هذه القوانين.

في الصفحة التاسعة ـ تعبير مستغرب « طوبى للإنسان أن يكون الجسر الكونيّ الذي تعبره ارادة الله الأخلاقية لتدخل التاريخ، ولتتحقق في الزمان والمكان ».

ان الحديث عن الله لا يجمع فيه القلم كيف يشاء، بل هو محكوم بأداء معين.

وفي الصفحة العاشرة ـ يقول : إن للإنسان « أن يفرقع الشمس والقمر إن لزم ».

ولا أدري لماذا من حق الإنسان أن يفعل ذلك ؟ وهل الإسلام يعطي المسلم الحق في تدمير الكون ؟ وما علاقة هذه الفرقعة بالنفاذ من أقطار السموات والأرض. إن للنفاذ معنى آخر لا صلة له البتة بما يريد الأستاذ.

وفي الصفحة الثانية عشرة ـ كلام يبدأ بهذه الجملة « لا توحيد إذن إلا بالأمة..... الخ ».

وأعتقد أن العبارات كلها تفتقر إلى الضبط والإيضاح.

إن الأستاذ / الفاروقي رسم في محاضرته أهدافاً عالية صحيحة، وإنه لممّا يخدم الإسلام خدمة جليلة، في عصرنا هذا، أن يوائم الأستاذ بين اجتهاده المشكور وبين مواريثنا في الإلهيات والنبوات حتى يسلم كلامه من الاعتراضات.

وندعو الله له بالتوفيق...

محمد الغزالي

كلية الشريعة

جامعة الملك عبد العزيز

مكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي الكريم الدكتور / أحمد عبد القادر باحفظ الله
الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي حفظه الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاتـه ..

جواباً على خطابكم ذي الرقم ٧٤٥ والتاريخ ١٤٠٠/٢/١٠ هـ بشأن إبداء الرأي في محاضرة الأستاذ الدكتور / اسماعيل راجي الفاروقي ـ التي ألقاها أثناء انعقاد اللقاء العالمي الرابع للندوة. فاني أرسل لكم الملاحظ المرفقة.

وفقنا الله جميعاً لما يحبه ويرضاه..

أخوكم

مناع القطان

ملاحظ على المحاضرة : جوهر الحضارة الإسلامية

أولاً : النظرة العامة :

أخذت المحاضرة طابعاً فلسفياً في تقسيم عناصرها، وترتيب أفكارها، والتعبير عن هذه الأفكار، ويجد القارىء في بعض العبارات من الغموض ما يجعل ادراك المعنى المقصود متعذراً، للترخص في استعمال الألفاظ واطلاقها على المعاني البعيدة، أو ارادة ما هو أعم من هذه المعاني، ولا بد

في المجاز من قرائن تدل على المعنى البعيد، وقلما نجد هذه القرائن في المحاضرة، ويتبين هذا فيما سنذكره بعد.

ثانياً : الملاحظ التفصيلية :

١ ـ جاء في ص ١ بالأسطر الأربعة الأخيرة : « التوحيد هو الشهادة عن إيمان بأن « لا إله إلا الله »، هذه الشهادة السلبية في مظهرها ». ومأخذنا في ذلك، أن الشهادة ليست سلباً، ولكنها سلب وايجاب، وجاء السلب فيها لتأكيد الايجاب بطريق الحصر، فقولنا : « لا إله إلا الله » يشتمل على نفي واثبات. إذ أن خبر « لا » النافية للجنس محذوف، والتقدير : لا إله موجود إلا الله. فالشطر الأول نفي، وما بعد « إلا » اثبات بطريق الحصر، وهذا أبلغ في إثبات التوحيد من الاثبات المجرد، حيث دل على نفي الالهية عما سوى الله، واثباتها لله وحده، ودلالة ذلك على اثبات الهيته تعالى أقوى من دلالة قولنا : « الله إله » بطريق الاثبات فقط، لأن هذا قد يتطرق اليه احتمال أن يكون غيره إلهاً كذلك، ولذا لما قال تعالى : (والهكم إله واحد) بطريق الاثبات المجرد قال بعده : (لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) ١٦٣ ـ البقرة.

واعرابها عند النحاة : « لا » : نافية للجنس، و « إله » اسمها مبني على الفتح، وخبرها محذوف والتقدير : لا إله موجود، و « إلا » : أداة استثناء، و « الله » مرفوع بالضمة : بدل من الضمير المستكن في الخبر المحذوف ـ عند جمهور النحاة ـ : وبدل من لا مع اسمها عند سيبويه، لأن لا مع اسمها عنده في موضع رفع على الابتداء.

٢ ـ يقول المحاضر ص ٢ س ٢ : « التوحيد كتصور عام ـ التوحيد تصور عام للحقيقة.... »، ثم فسر هذا التصور في المبادئ الخمسة التي ذكرها.

وليس التوحيد هو التصور العام للحقيقة. ولكنه يعطي تصوراً عاماً للحقيقة. وشتان بين العبارتين : التوحيد هو التصور العام للحقيقة. والتوحيد يعطي تصوراً عاماً للحقيقة. فالعبارة تدل صيغتها على أنها تعريف للتوحيد.

وهي لا تصلح أن تكون تعريفاً له. لا بالحد، ولا بالرسم، ولا بالمرادف، ولا بالتقسيم.

ومن ناحية أخرى فان التصور يقابل التصديق. والتوحيد هو التصديق بوحدانية الالهية، فكيف نعبر عنه بالمقابل فنقول التوحيد تصور. أما إذا قلنا : انه يعطي تصوراً عامـاً للحقيقة، فاننا بهذا نجعل التصديق اليقيني بوحدانية الالهية سبيلا تهتدي به إلى الصورة المتكاملة عن الوجود كله.

ولذا فان الأستاذ المحاضر ذكر التوحيد بتعاريف أخرى في مواضع، فتراه مثلاً ص ٤ آخر الصفحة بالسطرين الأخيرين يقول : « التوحيد وحدة الله ».

ويقول في السطر الأخير ص ٥ : ان التوحيد هو الاقرار بوحدة الله، والله هو الحق، فوحدته إذاً هي وحدة الحقيقة »..

٣ ـ تكلم المحاضر عن الجانب الأسلوبي في الحضارة وأنه يتألف من مبادىء ثلاثة : الوحدة، والتعقل، والسعة : وعندما تحدث عن السعة ص ٦ فسرها تفسيراً يوهم التساوي بين الأديان كلها، وهذا هو محور المحاولات المشبوهة في التقارب بين الأديان بعالمنا المعاصر : التقارب بين المسيحية والإسلام. التقارب بين الأديان، الحوار المسيحي الإسلامي.

ولهذا كله مراكزه العاملة. فنحن بمفهوم السعة كما ذكر المحاضر نساعد على نجاح تلك المحاولات التي تسعى لإذابة الإسلام في المفهوم الديني العام.

اقرأ ـ مثلاً ـ عبارات المحاضر في مبدأ السعة : هي حسن الظن بالظاهر إلى أن يثبت خطأه.. هي الايمان بأن الله لم يترك قوماً إلا أرسل اليهم نذيراً بعلمهم بأن يعبدوا الله ويجتنبوا الطاغوت.

وهذه القضايا حق، ولكنه يصل منها إلى قوله بعد : « فالسعة هي الايمان بأن اختلاف الأديان وتعددها مرجعه التاريخ وما يؤثر فيه من تغيير وهوى.. تحل السعة مكان النقض المتقابل وتحول المجابهة إلى بحث علمي في تاريخ الدين المذكور.

ونحن نؤمن بأن دين الأنبياء واحد، وقد أمرنا الله أن نؤمن بالأديان كلها، ولكننا نؤمن كذلك بأن أهل الأديان السابقة حرّفوا وبدّلوا. وأن أديانهم أمرتهم بالايمان برسولنا محمد ﷺ، فلما بعث جحدوا واستكبروا وأن رسالة محمد ﷺ نسخت الرسالات السابقة، فلا يسع أحداً من أهل الأديان الأخرى سوى الدخول في الإسلام، أو الخضوع لحكم الإسلام فيه.

والسعة التي في ديننا دين التوحيد، تكون في البلاغ والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

٤ ـ عبر المحاضر ص ٩ س ٣ و س ١٣ عن الأمانة في الآية ٧٢ من سورة الأحزاب بأنها تحقيق ارادة الله الأخلاقية. والمراد بالأمانة في الآية ـ كما ذكر جمهور المفسرين ـ جميع وظائف الدين وتكاليفه التي ائتمن الله عليها العباد، وهذا يسمى بارادة الله الشرعية، ويقابلها ارادة الله الكونية، فتسمية الارادة الشرعية بالارادة الأخلاقية اصطلاح جديد.

واستعمال هذا الاصطلاح يوهم اعتبار التكاليف الشرعية من باب الأخلاق. والأخلاق بتصرف مفهومها العام إلى التجمل بالفضيلة، ولكنها في المفهوم الإسلامي تكون غاية للالتزام بتكاليف الشريعة أمراً ونهياً.

٥ ـ ذكر المحاضر في نهاية ص ٩ أن الإنسان أكمل من الملائكة وأرفع منهم درجة لأنه يقدر على العمل الأخلاقي طوعاً.

وهذا الحكم ليس على اطلاقه، والتحقيق أن جنس الملائكة أفضل من جنس الإنسان، لأن الملائكة جميعاً جلبوا على الطاعة فقط، أما جنس الإنسان فمنهم المؤمن ومنهم الكافر، ومنهم المنافق، والمؤمنون منهم العصاة، أما اذا قورن الإنسان المؤمن العابد المطيع بواحد من الملائكة فانه يكون أفضل.

هذا وأسأل الله تعالى أن يرزقنا العلم النافع..

بسم الله الرحمن الرحيم

سعادة الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.... وبعد :

أشير إلى كتابكم رقم ٧٤٥ وتاريخ ١٤٠٠/٢/١٠ هـ المرفق به نسخة من محاضرة الأستاذ الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي التي ألقاها أثناء انعقاد اللقاء العالمي الرابع للندوة للاطلاع عليها للاستدراك أو التوضيح أو الاضافة.... إلخ.

أفيدكم أنه بإحالتها إلى أحد المختصين أبدى عليها الملاحظات التي تجدونها برفقه.

شاكراً لكم جهودكم في سبيل الدعوة إلى الله تعالى سائلاً المولى تبارك وتعالى التوفيق والسداد للجميع.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الملاحظات على محاضرة الأستاذ الدكتور / إسماعيل راجي الفاروقي « جوهر الحضارة الإسلامية »

١ ـ جاء في آخر الصفحة الأولى السطر الرابع من أسفل على قوله :

« لا إله إلّا الله، هذه الشهادة السلبية في مظهرها ».

الأولى حذف هذه الجملة : السلبية .. إلخ.

وذلك لأن كلمة : لا إله إلّا الله ليست سلبية وإنما هي مشتملة على النفي والإثبات، فهي إيجابية. وبحذفها يبقى الكلام مستقيم المعنى.

٢ ـ جاء في الصفحة الثانية السطر الثاني، والرابع قوله : كتصور عام، الكاف يحسن حذفها.

ـ وفي السطر الخامس قال : الحقيقة عالمان. عالم الله وعالم الخلق.

ولا يصح أن يوصف الله ـ بعالم الله.

والأولى أن يقال : الحقيقة وجودان. وجود الله، وعالم الخلق.

٣ ـ في الصفحة الثالثة يحسن أن تضاف جملة في آخر السطرالثاني عشر وهي : في الدنيا والآخرة. وفي السطر الثالث عشر والرابع عشر قوله : التوحيد كجوهر... إلخ تحذف الكاف من : كجوهر.

٤ ـ في الصفحة الرابعة من السطر الرابع ذكر أن الحضارة الإسلامية انبثقت عن غيرها وأخذت منها... إلخ.

ذكر هنا كلاماً طيباً من حيث أن الحضارة الإسلامية هضمت الحضارات السابقة.. الخ، ولو ذكر هنا توضيحاً وهو أن أهم شيء أضافته الحضارة الإسلامية وامتازت به هو المنهج التجريبي الذي لم تعرفه الحضارات السابقة، وإنما كانت مقتصرة على النظريات.

٥ ـ في الصفحة السادسة السطر الثاني يحسن حذف كلمة : المحرك.

وفي السطر الثالث تحذف كلمة : فكرة، ويستبدل مكانها إرادته، فتكون الجملة : أي عن تغيير إرادته.

وفي السطر الخامس عشر والسادس عشر قوله : بل في فطر البشر أجمع ما يؤهلهم لمعرفة الدين الحنيف القيم وإدراك أوامر الله وإرادته.

يحتاج لتوضيح : وهو أن الفطرة تدل على معرفة الله وأنه هو الخالق

سبحانه وذلك قبل انحرافها كما قال ﷺ : كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه الحديث، أما أوامر الله وما يريده الله من عباده من التفاصيل فلا يدرك إلّا عن طريق الوحي وهو ما أنزله الله على رسله.

وإلّا فالعقول وإن ارتقت وأبدعت في حضارتها المادية فهي في حاجة إلى هداية الوحي ـ يحدثنا بذلك آثار الأقدمين الذين بلغوا ما لم يصل إليه غيرهم ومع ذلك فقد نحتوا حجارة بأيديهم ثم عفروا جباههم لها.

٦ ـ في الصفحة الثانية عشر السطر الرابع قوله : ثالوث من مراتب الإجماع ـ لو حذفت هذه الجملة لكان أولى.

٧ ـ في الصفحة الثالثة عشر السطر الثالث قوله :

التوحيد مبدأ جمالي :

تسمية التوحيد مبدأ جمالي لا يستحسن، ولكن لو قال : إن الإسلام لا ينكر الإبداع الفني، ولا يتنكر للجمال فقد جاء في الحديث : أن الله جميل يحب الجمال ـ لكان أولى من جعل الجمال قسماً من مبادىء التوحيد الخمسة على تقسيمه الذي جرى عليه في محاضرته.

بسم الله الرحمن الرحيم

سعادة المكرم الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي
الأستاذ أحمد باحفظ الله المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد :

اشارة إلى خطاب سعادتكم رقم ٧٥٨ في ١٤٠٠/٢/١٢ هـ والمرفق به محاضرة : اسماعيل راجي الفاروقي استاذ الإسلاميات وتاريخ الأديان بجامعة تاسيل بالولايات المتحدة في اللقاء الرابع للندوة العالمية للشباب الإسلامي المقام في ربيع الثاني عام ١٣٩٩ هـ في قاعة الملك فيصل يرحمه الله بالرياض.

وحيث رغبتم في ايضاح وجهة نظري في هذه المحاضرة لا سيما وهي تتحدث عن أهم موضوع هو موضوع التوحيد فانني أوجز لسعادتكم ملاحظاتي بالآتي :

أولاً : ملاحظات عامة :

١ ـ المحاضر كتب هذا الموضوع على طريقة الفلاسفة المحدثين مما لا عهد لكثير من المسلمين به مما يجعل قطاعاً كبيراً من المثقفين لا يستفيدون من هذه المحاضرة أو لا يعيشون مع المحاضر فيما يهدف اليه.

٢ ـ ان المحاضر استعمل في بحثه اصطلاحات غير معروفة لنا

ولكثير من الناس مثل : اصطلاح الجانب الاسلوبي والجانب الفحوي وما يتألف منه كل من الجانب الأسلوبي والفحوي من مبادىء ص ٣ وما بعدها. ومثل : التوحيد مبدأ أخلاقي ومبدأ قيمي ومبدأ جمالي... الخ.

٣ ـ ان كثيراً من العبارات تأتي غير محددة المعنى أو غير واضحة أو محتملة للحق والباطل مثل كلمة الحقيقة فمرة يستعملها بمعنى الوجود ومرة بمعنى الواقع. وتارة بمعنى الكل وتأتي محتملة مثل : قوله فالسعة هي الايمان بأن اختلاف الأديان وتعددها مرجعه التاريخ وما يؤثر فيه من تغيير ص ٦.

٤ ـ ان ما يقررن المحاضر في مكان يتابعه أحياناً في مكان آخر وهذا سيتضح من الملاحظات الخاصة.

ثانياً : الملاحظات الخاصة :

١ ـ التعبير بجوهر الحضارة الإسلامية وأنه هو التوحيد تعبير غير دقيق ولا محدد لان الجوهر يطلق ويراد به معنى اصطلاحي عند الفلاسفة، وهو كل ما استقل عن غيره وقام بنفسه، ويقابله العرض وهو ما لا يقوم بنفسه ولا يظهر إلا في غيره كالألوان، وهذا غير صحيح لأن التوحيد لا يستقل عن بقية شرائع الإسلام ومجرد التوحيد بلا عمل بشرائع الإسلام لا ينفع.

ويطلق الجوهر : ويراد به المعنى اللغوي العام الذي هو الشيء الغالي الثمين والنفيس، سواء كان في الماديات أو المعنويات، ولما كان معنى النفيس الثمين الغالي كلمات واسعة ليست محددة بل انه في المعدن الواحد كالذهب مثلاً وهو يقع تحت مسمى الذهب ويعرف عند أهل الخبرة به أنه على درجات متفاوتة من النفاسة ولهذا فان سلف هذه الأمة وعلماءها في مختلف العصور لم يعبروا بالجوهر عن التوحيد.

٢ ـ قال المؤلف : قديماً وحديثاً كتب مفكرونا آراءهم في جميع الميادين تحت عنوان التوحيد وذلك لانهم رأوا فيه المبدأ الأكبر الذي يشمل جميع المبادىء الأخرى، ورأوا فيه القوة الكبرى التي تفجرت عنها جميع

المظاهر المكونة للحضارة الإسلامية ثم قال : ان التوحيد هو الشهادة عن ايمان بأن (لا إله إلا الله).

فكلمة التوحيد التي ذكرها ليس لها هذا الشمول الذي ذكره المؤلف بل انها تشمل أنواع التوحيد :

١ ـ توحيد الربوبية.
٢ ـ توحيد الالوهية.
٣ ـ توحيد الأسماء والصفات.

ولكنها لا تشتمل على بقية شرائع الإسلام ومبادئه الأخرى في العبادات والمعاملات والدماء والقضاء وغيره مما ينظمه مسمى الشريعة، وليس صحيحاً أن مفكرينا في القديم كتبوا آراءهم في جميع الميادين تحت عنوان التوحيد بل هي دعوى تفتقر إلى دليل.

٣ ـ قال المحاضر : إن حكمة لا إله إلا الله هذه الشهادة سلبية في مظهرها، والحقيقة ان هذه الكلمة تضمنت السلب والايجاب معاً، فان صدرها ينفي وجود إله حق غير الله، وعجزها (إلا الله) إيجاب وهو اثبات الالوهية الحقة لله وحده دون سواه.

٤ ـ قال المحاضر ص ٢ إن التوحيد تصور عام للحقيقة بما فيها الدنيا كلها والحياة كلها والتاريخ كله، وهذا الشمول غير صحيح كما سلف.

٥ ـ تحت عنوان المبادىء الخمسة للتوحيد على حد تقسيمه : (الحقيقة عالمان : عالم الله وعالم الخلق ص ٢) وهذا التقسيم ليس صحيحاً فلا يقال عن الله انه عالم. وإنما يذكر بأسمائه وصفاته سبحانه فقط، ولا يصح حتى من ناحية الوجود لأن قرن وجود الله بوجود الخلق فيه تشبيه إلى جانب مخالفته لما جاء في الكتاب والسنة وأقوال وأعمال السلف والخلف حتى يومنا هذا.

٦ ـ ثم قال : ثنائية الحقيقة نهائية قاطعة. ينفصل العالمان عن بعضهما انفصالاً تاماً كونياً ووجودياً... الخ : فالتعبير بالثنائية، تعبير غير

سليم. اما الانفصال فلا يقال به اذ لم يحصل اتصال من قبل حتى يكون الانفصال.

٧ ـ وقال : لا صلة بين الخالق والإنسان الا بقوة العقل... الخ ونقول إن الصلة بين الخالق والمخلوق صلة ايجاد وخلق وهي خارج العقل وان كانت تدرك بالعقل فهي عقلية من هذه الجهة، وصلة الخلق بالخالق بالطاعة والعبادة صلة قائمة.

٨ ـ وقال ان سنن الله : هي ارادة الله. والواقع أن سنن الله أعم من ارادته فلا تفسر السنة بالارادة.

٩ ـ وقال : لعالم الخلق غاية من وجوده : هي تحقيق ارادة الخالق. وهذا ليس صحيحاً، فان ارادة الله الكونية نافذة في الخلق شاؤوا أم أبوا، وارادته الشرعية يتم تنفيذها في اطار اختيار البشر ومشيئته الخاضعة لمشيئة الله.

فغاية الله من خلق الخلق ليس تحقيق ارادته وانما هي توحيد الله وطاعته وعبادته وفق ما شرع وهذا بنص القرآن. قال تعالى : « وما خلقت الجن والأنس الا ليعبدون »... الآية وهذا نص قرآني على تحديد الغاية من الخلق.

١٠ ـ عند كلام المحاضر على تحقيق ارادة الله في الخلق ذكر انها تتحقق في خلقه ما عدا الإنسان بالضرورة اما في الإنسان فتتحقق باختياره وهذا صحيح، ثم قال : (وهذا هو التفاضل القائم بين القيم الاخلاقية والقيم النفعية)، وهذه الجملة ليست صحيحة لأن ما يتحقق بفعل الإنسان الاختياري منه ما يصح ان يسمى كما عبر عنها بالقيم الاخلاقية والقيم النفسية. فان الإنسان يفعل الطاعة باختياره فتسمو نفسه وتعلو درجته عند الله ويرتفع عن مستوى الحيوان وبقية المخلوقات ـ وهذه ما عبّر عنها بالقيم الأخلاقية ثم إنه يحقق له بذلك مصالح دنيوية في نظام حياته وصلاح عيشه وحصول المنافع العاجلة التي يشترك فيها الإنسان مع الحيوان مثل الطعام والشراب واشباع كل الغرائز الحيوانية.

ثم ان الإنسان منه من لم يكن مطيعاً لله، ومع أنه انسان وله اختيار فاذا عصى الله وكفر به كانت منزلته أحط من الحيوانات عند الله وكان ما

يحصل عليه منافع يصح أن يطلق عليها قيم نفعية : لأنها ليس فيها طاعة ولا سمو ولا تحقيق مراد الله فتساوى مع الحيوان في تناول هذه القيم الحيوان بالالهام والضرورة والانسان بالسعي والاختيار وكانت ميزة الاختيار عنده تهبط به درجات في التقييم لأنه استعملها في التدني لا في الارتفاع.

١١ ـ قال المحاضر : ان للتوحيد كجوهر حضاري جانبان : جانب اسلوبي وجانب فحوي، ثم فسر مراده بكل منهما، بما يفهم منه أن مراده بالجانب الأسلوبي هو الاجتهاد وعمل المجتهدين في التطبيق، وأن مراده بالفحوى نصوص الشريعة التي هي مجال عمل المجتهد ومادته. وقال في أول عنصر من عناصر الجانب الأسلوبي ما نصه : انما الحضارة الإسلامية انبثقت عن غيرها من الحضارات وأخذت منها، لكنها ليست مجرد جمع واضافة بل هضماً وتسوية وتخريجاً جديداً، فما من حضارة إلا خرجت من سابقاتها وتقدمت بمواد جديدة غريبة عنها، لكنها هضمتها وسوتها فحولتها من جوهر غريب عن الحضارة إلى مادة فحوية تنتسب إلى الحضارة الإسلامية انتساباً عضوياً... الخ.

فإذا كانت في كثير من العبارات التي ذكرتها في الملاحظات السابقة ذات مصراعين طيعة تأتي مع الدفع والجذب فان هذه العبارة صريحة لا تحتمل غير المعنى المراد للمحاضرة وهو كلام خطير بل هو غاية في الخطورة وهو رأي كثير من المستشرقين، وهذا الكلام في لفظه ومعناه يعني أحد الأمور التالية :

أ ـ ان الحضارة الإسلامية والتوحيد ليسا من عند الله وانما هما من صنع عبقرية مبدعة كان لها قدرة فائقة في أخذ خامات هذه الحضارة من الحضارات السابقة لها ـ وهي التي عبّر عنها بالجانب الفحوي وصهرها في بوتقة إسلامية ونظمتها في إطار واحد هو الصهر الإسلامي الذي ألف بين أجزاء هذه المواد التي أخذت من الحضارات القديمة ـ وهذه العبقرية هي التي عبر عنها بالجانب الأسلوبي وحددها في المبادىء الثلاثة : ١ ـ الوحدة ٢ ـ التعقل ٣ ـ السعة.

ب ـ أن تكون الحضارة الإسلامية وعقيدة التوحيد من عند الله ولكن

الله سبحانه أخذ موادها من الحضارات القديمة وصهرها بعلمه وحكمته وسواها وخرجها تخريجاً جديداً حتى صارت بهذا الشكل الإسلامي أو كما قال فأسلمها.

وعلى الاحتمالين فالخامات المكونة لنصوص الشريعة ليست من عند الله ابتداء، ولكنها من الحضارات القديمة انتقتها يد مبدعة خلاقة، ولم تكتف بمجرد جمعها وتصنيفها بل هضمتها وسوتها وخرجتها تخريجاً جديداً.

ولكن من هي هذه اليد المبدعة أو الفنان كما سماها فيما يأتي، هل هو محمد ﷺ وأصحابه أو هو الله.. الله أعلم بمراده.. وعلى كلا المعنيين فهو خطأ جسيم في حق الله وحق رسوله.

غير أن ما ذكره المؤلف بعد هذا مباشرة بقوله: (ولعل أسوأ ما نزل بنا من كوارث في العصر الحديث هو انتزاع وحدة الأسلوب من حضارتنا، وذلك بادخال عناصر غريبة على حياتنا دون أن نصهرها ونسويها ونخرجها التخريج الذي يجعلها نسقاً متوحداً الخ). يبين انه أراد المعنى الأول وهي انها من صنع عبقرية انسانية مبدعة وجدت مع فجر الإسلام ولم تتكرر، وهو يدعو اليوم إلى عبقرية جديدة تعيد للإسلام وجوهره ما فقدناه وهو الجانب الأسلوبي المتمثل في الوحدة والتعقل والسعة وهذه كلها أعمال بشرية إذ أن مواد الحضارات الجديدة متوفرة ويمكن اضافتها إلى جوهر الإسلام وهو التوحيد اذا وجد من يقوم بالجانب الأسلوبي وتتولى عملية الصهر والهضم والاخراج والتسوية.. الخ.

ولست في حاجة أمام هذا الكلام الذي ينبئ عن تصور معين للمحاضر عن الإسلام في مصدره ومورده وصلته بالحضارات القديمة وفي جانبه الأسلوبي الفحوى والذي يختلف تمام الاختلاف عن تصور علماء المسلمين قديماً وحديثاً بل حتى عامتهم أن أسرد الآيات القرآنية التي جاءت في الرد على مثل هذه الدعاوى التي وجهت للإسلام منذ فجر تاريخه مثل قوله تعالى عن المنكرين للرسالة: (انما يعلمه بشر)، فرد الله عليهم بقوله تعالى: (لسان الذين يلحدون إليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين).

وقوله تعالى : (وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو الا ذكر وقرآن مبين). ومثل قوله تعالى : (وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين)، والآيات الدالة على أنه تنزيل من رب العالمين كثيرة جداً لا تدع مجالاً للشك في ذلك بل قال تعالى : (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لاخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين).

فالحضارة الإسلامية وعقيدة التوحيد التي عبّر عنها بالجوهر لا يمكن أن تكون منزلة من غير الله على رسوله وحياً وفي نفس الوقت تكون موادها من الحضارات القديمة. ولو لم يكن في هذه المحاضرة غير هذا الكلام لكان كافياً لاستبعادها وما ذكره الفاروقي هنا من أن الحضارة الإسلامية مقتبسة من الحضارات القديمة أورده أبو الأعلى المودودي رحمه الله في مقدمة كتابه « حضارة الإسلام أسسها ومبادؤها ». كشبهة من شبه المستشرقين وردها وحمل على القائلين بها بكلام جزل لا يحضرني الآن ويمكن رجوعكم اليه.

١٢ ـ تكلم عن السعة كمبدأ أسلوبي وأطلقها، والسعة في نظر الشريعة لا بد وأن تكون في اطار التشريع الإسلامي لأنه من عند الله الرؤوف الرحيم وهي لا تكون في تتبع الرخص والأخذ بالأسهل.

ثم قال (فالسعة هي الايمان بأن اختلاف الأديان وتعددها مرجعه للتاريخ وما يؤثر فيه من تغيير وهوى... الخ).

وهذا الكلام مجمل يحتمل الحق والباطل. فان اراد بأن هذه الأديان يرجع اختلافها إلى اختلاف حاجات الإنسان واستعداده في فترات التاريخ، وأن رسالة كل رسول قبل محمد ﷺ كانت تأتي شفاء لا دواء منه وصالحة لتلك الفترة الزمنية فقط في شريعتها وفروعها، ورسالة الإسلام جاءت رسالة خاتمة صالحة للفترة التاريخية من البعثة النبوية الشريفة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فهذا حق.

وان أراد أن الديانات في أصلها وتفاصيلها واحدة وأن تعددها يعد طرائق ابتدعها الناس فجعلوا منها يهودية وأخرى نصرانية وثالثة اسلامية

اختلفت اسماؤها وطرائقها بسبب الهوى فهذا خطأ محض والكلام محتمل للمعنيين.

١٣ ـ في الجانب الفحوي ذكر المحاضر أن شهادة أن لا إله إلا الله وحده تعني أن الله وحده هو الخالق الموجد لكل شيء وانها تعني أنه الفاعل لكل حادث وأنه الغاية من كل شيء فاذا شهد الإنسان بهذه الشهادة عن وعي وايمان بمدلولها أيقن أن كل ما يحيط به من حوادث طبيعية كانت أو اجتماعية ام نفسانية كلها من فعل الله وتحقيقاً لغاية من غاياته.. الخ).

فهذا الكلام فيه اجمال وخلط فان قصد أن الله هو المالك لكل ما في السموات والأرض وأن ما يحدث هو بقضائه وقدره الأزلي فهذا حق. وأما اذا قصد أن كل فعل يتم في الوجود فالله فاعله بهذا الاطلاق وبهذا التعبير فهو خطأ فانه يتم على وجه الأرض في حياتنا المشاهدة قتل النفس البريئة ونهب الأموال المحترمة وفتك الأعراض المحصنة ويتم القيام بالإفساد في الأرض بكل أبعاد هذه الكلمة فهل يمكن نسبة هذه الأفعال والحوادث إلى الله استناداً إلى صدق كلمة (لا إله إلا الله) تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

الحقيقة أن ما يتم في الوجود من خير وشر هو بقضاء الله وقدره والإنسان مكلف مختار وفاعل لأفعاله حقيقة والله مقدر الأفعال وافعال الإنسان وتصرفاته واختياراته تكون سبباً لما يصيبه من خير أو شر (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك). كما ان الأفعال ليست كلها تتم لتحقيق غاية من غايات الله، فان الشرك والكفر وأنواع المعاصي أفعال واقعة على المرء بقضاء الله وقدره ولكنها لا تتم لتحقيق غاية فان الغاية من الخلق التوحيد والعبادة والطاعة، والشرك والكفر والمعاصي على النقيض.

المحاضرة لا يخلو موضوع من موضوعاتها من ملاحظات وأخطاء تختلف درجاتها، والحديث عنها يطول، ولكنني أحب أن انتقل من ص ٧ متجاوزاً الملاحظات كلها في الصفحات ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢ إلى صفحة ١٣ وهي الأخيرة مع أن كلّ صفحة من ٨ ـ ١٢ فيها اخطاء كثيرة ليس من الضروري الاتيان عليها لأن المقصود بيان مدى صلاحية هذه

المحاضرة للنشر أو لا وما سلف وحده كاف لاستبعادها. ولكن هذه اللقطة الأخيرة لها أهمية كبرى في الحكم على البحث.

ذكر في ص ١٣ تحت بند ٥ ـ التوحيد مبدأ جمالي : (يقول التوحيد بأن لا إله إلا الله يعني بذلك أن لا إله في الطبيعة يخلق، فكل ما في الخلق مخلوق). ثم يقول الفن ان في كل شيء في الخلق لا سيما في الإنسان وتصرفاته واختياراته تكون سبباً لما يصيبه من خير أو شر (ما ما يجب على الشيء أن يكونه وان لم يكنه.

فالفن هو اكتشاف هذا الجوهر واعطاؤه الجسد المرئي المطابق له، فهو ليس مجرد نقل عن الطبيعة بل هو استقراء لها عن جوهرها الماورائي وتصويره أو تمثيل ذلك الجوهر بما يلائمه من ملامح مرئية. هذا الجوهر الماورائي الذي يهدف الفنان إليه الهي في طبيعته الماورائية فهو جدير بالمحبة والاعجاب الشديد كلما اقترب من الالوهية).

يظهر لي من هذا البحث ان المحاضر يرى قدم المادة واستمراريتها وعدم فنائها وأن ما نراه من فناء الأجسام ليس فناء حقيقاً وانما هو تحول في الشكل والصورة مع بقاء المادة. وأن وظيفة الاله وهو ما سماه بالفن أو الفنان هو اكتشاف هذه المادة في جوهرها وإعطائها الجسد المرئي المطابق له.

فإذا افترضنا أن الجوهر هو الروح في الإنسان مثلاً فان هذا الجوهر دائم لا يفنى وانما يتشكل ويتحول من صورة إلى غيرها. وأن وظيفة الاله هي اكتشاف هذا الجوهر وهي الروح وغطاؤها الجسد المرئي ـ الذي هو الجسم المحسوس المشاهد المطابق الملائم للجوهر. فقد يخرج هذا الجوهر مرة في انسان ثم يموت الجسم وتبقى الروح فتخرج في صورة أخرى باكتشاف الفن لهذا الجوهر واعطائه جسداً آخر حيوان او نبات او غيره حسب ما يلائم هذا الجوهر في ظهوره المتجدد.

وهذا لا يتفق مع عقيدة المسلمين التي تؤمن بأن كل من عليها فان، وأن المادة ليست قديمة بل هي حادثة وفانية أيضاً، وأن الله سبحانه يخلق خلقه بكل مقوماته وجوهره وجسده وغايته ومشاهده، وأن أي روح يموت صاحبها لا تخرج في أي صورة من صور المخلوقات أو النباتات أو غيرها،

وانما تخرج في نفس النفس والجسم الذي وجدت فيه لأول مرة في الحياة الآخرة وهي تبقى تنعم أو تعذب في الحياة البرزخية والحياة الأخرى.

وما ذكره المؤلف في هذا يتفق مع ما ذكره في صدر هذا البحث مما سماه جانبي التوحيد ـ الأسلوبي والفحوي : ومصدر مادة التشريع وطريقة صهرها وإخراجها في صورة جديدة مع أنها في الأصل مجموعة موادها من عدة حضارات عملية المشرع عملية الصهر فقط.

وهي لا تتفق إلا مع مبدأ القول بتناسخ الأرواح وهو مبدأ معروف البطلان عند كل العقلاء.

هذه بعض الملاحظات التي تمكنت من ذكرها في هذه العجالة وقد تجاوزت عدة صفحات تحمل جملة من الأخطاء.

ولعلي أكون مخطئاً في فهمي فيما أسلفت وأن يكون الحق في المحاضرة ظاهراً لغيري إذ أنه يسرني أن يسدد كل مسلم في قوله وعمله، والأخ إسماعيل ممن نكن له كل المحبة والأخوة، ونحفظ له كل عمل مخلص موافق للحق، وكلنا خطاؤون وخير الخطائين التوابون، وما كان في هذه الملاحظات من حق وصواب فمن الله، وما كان فيها من خطأ وباطل فمني ومن الشيطان، أستغفر الله وأتوب إليه، والله الموفق والهادي إلى الصواب...

تعليقات على التعليقات اللاحقة

بقلم المحاضر

د. علي عبد الحليم محمود :

١ ـ ينكر الأخ المعلق قول المحاضر بأن للإسلام جوهر وأن هذا الجوهر هو التوحيد، على أساس أن هذا القول تعريف للإسلام وللتوحيد مغاير لما جاء في كتب الكلام.

لسنا بصدد تعريف الإسلام بل بوصفه بالدلالة على ما يقوم فيه مقاماً جوهرياً، وبوصف الحضارة الإسلامية بما يقوم فيها مقاماً جوهرياً، ولم يقل أحد بأن جوهر الشيء هو كل ما فيه، رغم أنه أهم ما فيه.

٢ ـ يدعي الأخ المعلق أن المحاضر عرف التوحيد مرتين : مرة بتعريف مخالف « لما هو معروف في كتب التوحيد وكتب علم الكلام »، ومرة بتعريف جديد غير صحيح، تفضل المعلق بتعريف التوحيد بأنه « الإيمان بالله وحده لا شريك له ».

لقد عرف المحاضر التوحيد بأنه « الشهادة عن إيمان بأن لا إله إلّا الله » (ص ١)، فهل هذا مغاير لتعريف المعلق ؟ أما ما أسماه تعريفاً ثانياً، أي « تصور عام للحقيقة » فذلك وصف للتوحيد، وهل ينكر أن من يتصف بالتوحيد لا بد وأن ينفرد عن غيره بتصوره العام للحقيقة ؟.

٣ ـ ينكر الأخ المعلق قول المحاضر بأن الحضارة الإسلامية انبثقت عن غيرها من الحضارات مدعياً أن الحضارة الإسلامية هي الدين كله، ثم يسترسل في الظن بأن كلام المحاضر يؤدي إلى أن الإسلام نفسه منبثق عن غيره من الأديان.

لم يقل أحد بأن الحضارة هي الدين إلّا المعلق. فالدين نظام ثابت من المبادىء والقيم. أما الحضارة فهي مجموعة عضوية تشمل كل ما يتصل بحياة البشر الذين ينتمون إليها، بما في ذلك ألوان الطعام وطرق تحضيره، وأنواع المساكن والملابس، والآلات وطرق الإنتاج. ليست هذه الدين، إنما الدين هو ما يربطها بعضاً ببعض فيجعل منها وحدة عضوية بعد أن كانت شتاتاً ويصبهرها ويهذبها كي تلتئم أجزاؤها معه ومع بعضها البعض. فالدين أشبه بالخريطة والحضارة أشبه بالحجارة والطين والأخشاب التي تؤلف العمارة. فالحضارة الإسلامية، كالعمارة، لم تأت من عدم بل نشأت نشأة من الحضارة العربية التي شملت الحضارات السامية القديمة وحضارات الإغريق والرومان وفارس والهند. ولا شك أن الإسلام صهرها وطبعها بطابعه الخاص.

٤ ـ يدين الأخ المعلق القول بأن « اختلاف الأديان وتعددها مرجعه التاريخ وما يؤثر فيه من تغيير وهوى » فكرة الحادية معروفة. ويؤكد أن « الأديان كلها من عند الله سبحانه ».

هل التثليث والعنصرية والوثنية « من عند الله » ؟ أو ليست الأديان التاريخية ـ أي التي عرفها التاريخ وكما عرفها التاريخ ـ مغايرة لبعضها البعض ولنفسها من زمن إلى زمن و أو ليس فيها الكثير من الكذب على الله والبهتان ؟ فكيف تكون كلها من عند الله كما قال المعلق ؟ لا بد إذاً من التفريق في كل منها بين ما هو صحيح وحق، إلهي المصدر، وبين ما هو إنساني المصدر، مرجعه الهوى والاجتهاد وغيره.

٥ ـ يريد الأخ المعلق أن يحمي الدين الإسلامي من الظن بأنه مغاير لما أنزل الله، ولهذا يعارض مبدأ السعة.

لكن لا خوف على الإسلام، فليطمئن المعلق. ذلك أن الله تعالى وعد بحفظ الذكر من كل سوء. ومن جهة أخرى، الإسلام هو مصدر التوجيه، وهو مصدر مبدأ السعة. فكيف يكون هدفاً للمبدأ ؟ بل حتى وان اتخذ هدفاً، ألا يأمرنا ديننا بأن نثق بأن من يشهد بأن لا إله إلّا الله مسلم مؤمن إلى أن يثبت لنا أنه مشرك أو مشعوذ ؟ بأن لا نبادر باتهام الناس ؟ أو نظن بهم السوء ؟.

٦ ـ يدّعي الأخ المعلق بأن القول بانحدار مبدأي السعة واليسر من التوحيد كمبدأ أخلاقي « يؤدي إلى الشرك » إذ يترتب عليه « أن يكون التوحيد محتملاً لأن يثبت فساده .

الانحدار المذكور تسلسل منطقي لمبدأ معين ثان من مبدأ معين أول، تماماً كما لو قلت بأن مبدأ هندسياً أو رياضياً ينحدر من معطيات هندسية أو رياضية. ولا يعني هذا ان المبدأ الأول المنحدر منه، خاضع للمبدأ الثاني المنحدر. وأنه لمنطق أعوج أن نستنتج من المبدأ « أمرنا الله بالترفع عن الظن لأن بعض الظن أثم » مبدأ أول.

* وعليه فإنا لن نسيء الظن بزيد وعمرو » ـ مبدأ ثانٍ.

ان علينا أن نضع المبدأ الأول موضع الظن فنقول إننا نترفع عن الظن به عملاً بالمبدأ نفسه. فالتوحيد هو المصدر اليقيني المنحدر عنه. وإذا ألزمنا التوحيد بعدم اتهام الناس أو تكذيبهم أو إنكار المبادىء والتعميمات إلى أن يتبين لنا الفساد، فمن السخف أن نستنتج أن التوحيد نفسه « محتملاً » إلى أن يثبت فساده.

٧ ـ يدعي الأخ المعلق بأن تجريد الطبيعة من كل قوة غير الله هو علمنتها « يجعل التوحيد نفسه علمانية ».

في هذا التعليق خطئان. الأول خطأ منطقي من نفس النوع الذي وقع في تعليقه رقم ٦. فالمنطق الصحيح يأبى إخضاع المبدأ المستنتج منه إلى ما يطلبه المبدأ المستنتج. والخطأ الثاني ناتج عن عدم فهم ما قاله

المحاضر. فتجريد الطبيعة من كل قوة غير قوة الله معناه الإيمان بأن الطبيعة لا تعمل عملها بقوى أخرى، كالآلهة، وأرواح الأولياء والسحرة وغيرهم. وهذا هو مفهوم التوحيد فيما يخص الطبيعة. بل تعمل بقوة الله فقط. ولذلك يمكن درسها وتبين سنن الله فيها، السنن الدائمة التي لا تتبدل. فبدون هذا التجريد الذي يقدمه التوحيد، يختلط الأمر على الباحث في الطبيعة إذ لا سبيل له للتمييز بين الآلهة أو القوى المتعددة ذات المقاصد المختلفة، وبالتالي تبين السنن الدائمة. لذلك قلنا إن التوحيد يعلمن الطبيعة بمعنى أنه يجردها عن الآلهة كما تفعل العلمانية تمهيداً للدخول في البحث العلمي. ولا يخفى على أحد أن العلمانية تنكر الله تعالى، بينما التوحيد يؤكده. إلا أن أثرهما العلمي واحد بمعنى أنهما يحققان الشرط الأول الذي لا بد منه إذا أريد الدخول في البحث العلمي.

إن تساوي المسبّبات أو النتائج لا يلزم تساوي الأسباب.

٨ ـ ينتقد الأخ المعلق القول « التوحيد هو عكس الخرافة » بأنه غير صحيح بل طالب بالتقيد بالمصطلحات المعروفة. ولم يأت بدليل يبين صحة ادعائه. وعليه يفيد : ما المانع من القول بأن التوحيد ينفي أن النجوم تضر وتنفع، بأنه يناقض السحر والخرافة، بأنه يدفعنا إلى تركها ؟ ألم يجعل الشيخ محمد بن عبد الوهاب هذا مفتاحاً وعنواناً لدعوته السلفية ؟.

٩ ـ يعترض الأخ المعلق على القول بأن لا محقق لارادة الله سوى الإنسان في عمله الحر الاختياري.

ليس هذا ما قاله المحاضر لكن ما قاله هو : لا محقق للقسم الأخلاقي من ارادة الله سوى الإنسان. فاما أن يكون نسي ما قيل أو تناسى، أو أنه يؤمن بأن غير الإنسان من المخلوقات قادر على العمل الاخلاقي كما عرفناه.

١٠ ـ يعترض الأخ المعلق على استعمال المحاضر لكلمة « ثالوث ».

وهل للمسيحية المشركة أو لأي دين الحادي أن يتملك لغتنا العربية تملكاً فينفرد باستعمال كلماتها ويمنعنا من ذلك ؟.

١١ ـ يعترض الأخ المعلق على القول بأن سيدنا محمداً ﷺ

وضع دستوراً « للدولة الإسلامية وأنه أدخل اليهود في حظيرة تلك الدولة. وحجته أن دستور الدولة هو القرآن وهو غير موضوع.

لا خلاف في أن دستور الدولة الإسلامية هو القرآن الكريم وأنه تنزيل من رب السماوات والأرض بلسان عربي مبين. لكنا لسنا بصدد الحديث عن هذا الدستور، بل عن ميثاق المدينة الذي أملاه الرسول عليه الصلاة والسلام فجمع فيه الأوس والخزرج والمهاجرين واليهود، وأولئك جميعاً ضمن نظام سياسي واحد كان هو رئيسه. وقد حصل ذلك مباشرة بعد الهجرة. ولا ينكر أن ميثاق المدينة كان دستوراً معمولاً به للدولة الإسلامية الفتية.

١٢ ـ يتهم الأخ المعلق المحاضرَ بأنه لم ينقض كلام المستشرق جرونباوم وأنه بذلك أقر عدو الإسلام على خطئه.

فسبحان الله ! وهل ينكر أن ليس في الإسلام آلهة تتصارع مع بعضها البعض فتشكل مادة للدراما والفنون التشكيلية ؟ لا ينقض جروبناوم على هذا، انما ينقض على اعتباره الدراما والفنون التشكيلية ـ المجالات الوحيدة للتعبير الجمالي. وهذا ما فعله المحاضر بالذات.

١٣ ـ يعترض الأخ المعلق على التعبير « في الزخرفة الإسلامية » وينصح باستبداله بفن الزخرفة عند المسلمين ».

وهذا هو عينه ما يقوله أعداء الحضارة الإسلامية والإسلام. إذ هم يريدون الفصل ما بين الحضارة ومظاهرها من جهة وبين الإسلام من جهة أخرى. فإذا انقطعت الصلة بينهما سهل عليهم عندئذ تدمير الاثنين بحجة أن الإسلام دين لم ينتج حضارة وأن الحضارة الإسلامية ما هي إلا مخلفات الحضارات السابقة واقتراضات من الحضارات المعاصرة لها.

١٤ ـ اذا وقعت أخطاء لغوية أو نحوية في البحث فالاعتذار عنها وتصحيحها ضروريان.

الأستاذ / عبد الفتاح أبو غدة :

١ ـ يعترض الأخ المعلق على تعبير « عالم الله » و « طبقة الله » على أساس ان الله لا يوصف إلا بما وصف به نفسه.

أ ـ حقاً، لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه. لكن المحاضر بيّن أنه لا يعني بهذه الكلمات وصفاً لله، بل انه استعملها استعمالاً منطقياً فحسب، لا وصفياً. فهل لا يجوز التفريق بين الاستعمالين ؟ وهل كان استعمال لفظي استعمال وصفي ؟.

ب ـ كيف نعبّر عن فكرة فصل الله عن خلقه، فكرة انهما يشكلان حقيقتين منفصلتين ؟ وذلك لندفع قول معظم الأديان الأخرى القائلة بِغير ذلك بالوان متعددة ؟ لنميز الإسلام عنها ؟ ان الاعتراض الذي يعترضه المعلقان على كلمة « عالم » يمكن أن يعترض به على أية كلمة أخرى. حتى الكلمات التي وصف الله بها نفسه يمكن أن يعترض عليها بنفس الاعتراض، وأن تحمل معنى تشبيهياً يتنزه الله تعالى عنه. وذلك بالذات ما فعله المشبهة. فاذا افترضنا وقوع التشبيه. في كلمة « عالم » رغم توضيح المستعمل وتنبيهه لمستمعيه بأن استعماله منطقي لا وصفي، أنّى لبشر أن يتجنب التشبيه في أية كلمة أخرى تطلق على الله تعالى، وان كانت مما وصف به نفسه ؟.

٢ ـ يعترض الأخ المعلق على القول بأنه لا يجزي الإنسان على معروف أو منكر أكره عليه اكراهاً. ويقول بالعكس محتجاً بأن المعروف المكره، كالصدقة مثلاً، يحرز بها أجراً لانها معروف في نظر الشرع وفي الواقع، وان كان مشوباً في صدوره وناقصاً في أجره ومثوبته.

لا ينكر أن للمعروف حسنة أو قيمة قائمة فيه، وكذلك للسيئة. لكن اذا كان المعروف مكرهاً، كانت قيمته نفعية فقط. فلا ينكر أن المال المتصدق به ينفع المتصدق عليه. وشتان ما بين القيمة النفعية هذه والقيمة الاخلاقية. الأولى مادية والثانية روحية. ولو كان للقيمة المحققة عن طريق الاكراه صبغة أخلاقية لاستحسن اكراه الناس على فعل الخير، وعلى ادخالهم في الإسلام لأنه أكبر الخير وأعظمه. ولو كان ذلك صحيحاً لحثنا الله ـ بدل أن يمنعنا ـ على حمل الناس على الدخول في دينه. ولكن صدق الله حيث قال : « لا إكراه في الدين ». وذلك لأن الاكراه يفسد الجانب لأخلاقي مع ابقائه على الجانب النفعي.

٣ ـ يراد بكلمة الافندي. الفرد المتفرنج.

٤ ، ٥ ـ بدون تعليـق.

٦ ـ يقول الأخ المعلق : إن المحاضر جعل « اساءة الاعلام تفسيراً للتناقض، وهو تفسير غير صحيح ».

لم يجعل المحاضر اساءة الاعلام تفسيراً للتناقض. ذلك تحميل المعلق. انما نفى عن الله أموراً عديدة منها التناقش، ومنها أيضاً اساءة الاعلام، أي اعلام الانسان بغير ما هو واقع.

٧ ـ يدعي الأخ المعلق بأن « الأمانة هي تحقيق ارادة الله الأخلاقية » عبارة كهنوتية.

حاشاها أن تكون كهنوتية ولم يقلها أي كاهن. فالأمانة تعبير قرآني، والارادة والأخلاق مشتقة من كلمات قرآنية. وللجملة معنى لطيف فات المعلق يتميز فيه الجانب الأخلاقي في ارادة الله ـ كالتقوى والإحسان والقسط والدعوة والصدقة والنية الحسنة ـ عن الجانب الكوني كسنن الطبيعة وقوانين المادة. وتعبر الجملة عن حقيقة قرآنية هي أن الأمانة التي حملها الإنسان لم تقو الجبال والسماوات والأرض على أن يحملنها لأنها لا حرية لها كما للإنسان. وبالتالي فالأمانة هي الجانب الأخلاقي المتطلب حرية الإنسان لتحقيقه.

٨ ـ الفرقعة بمعنى التفجير، أو ضرب الشيء بشيء آخر حتى يظهر صوته. والقول بأن للإنسان أن يفرقع الشمس والقمر مبالغة يقصد بها تأكيد تسخير الله للشمس والقمر وكل ما في الأرض للإنسان.

٩ ـ جبل أوليمبوس هو مسكن آلهة الإغريق، كما أن فالهالا مسكن آلهة الالمان وأهل شمال أوروبا. وفي كلا الحالتين، دمرت مساكن الآلهة بالنار وعلى رؤوس الآلهة أصحابها، وذلك لكيدهم وتآمرهم ضد بعضهم البعض.

الاشارة في رأيي يجب أن تحفز القارئ على المطالعة، لا على المطالبة بالتفسير.

١٠ ، ١١ ـ مشكلة الأخ المعلق ليست استهجان الكلمات والتعبيرات بل استهجان المعاني. فهو لم يألفها.

١٢ ـ يقول الأخ المعلق : إن الضمير في كلمة « طبيعته » في الجملة التالية : « لذلك أسلب كل ما صوره أي أبعده عن طبيعته »، يعود إلى الله. ويعترض أن اضافة « طبيعة » إلى الله غير سائغة.

كلام الأخ المعلق في رأيي يدل على عدم ادراك ما قرأ. يعود الضمير في « أبعده » و « طبيعته » إلى « ما صوره » أي المخلوق أو الشيء المصور، لا إلى الله تعالى. ان فاعل « أسلب » هو الفنان. والجملة تقول أن الفنان الإسلامي يؤسلب كل شيء يصوره، فيبعد منظره عن الدلالة على طبيعته.

الأستـاذ محمد الغـزالي :

١ ـ يعترض الأخ المعلق على وصف كلمة التوحيد بسلبية المظهر.

لا ينكر أن في الكلمة نفي وأن هذا النفي ظاهر. فالمراد من ذكر « سلبية المظهر » الاشارة إلى هذا الظاهر. أما التأكيد الايجابي فيها فهو ليس فقط غير منكر، انما هو موضوع الفقرة كلها.

٢ ـ يعترض الأخ المعلق على كلمة « عالم الله » ظناً منه بأنها تتسم بالتشبيه رغم كل ما قيل احتياطاً لدفع وتحاشي هذا الظن.

الاصرار على هذا يزيل موانع الظن المماثل عند الكلام عن الله تعالى مهما كان. وكأنه يقول مغالياً : ما من احتياط يمكنه أن يتحاشى الظن بالتشبيه. فالكلام عن الله، وان كان من عند الله، لا بد أن يكون معناه مرتبطاً بفهم الإنسان. وهذا الارتباط يفتح باب التشبيه على مصراعيه. ولا يغلق هذا الباب الا بحيطة وتحذير المتكلم.

٣ ـ حكم الأخ المعلق على الجملة التالية بالقلق : « لا صلة بين الخالق والمخلوق الا بقوة العقل ».

قد تكون قلقة لو كانت لوحدها. لكنها وقعت في فقرة مفسرة لها.

٤ إلى ـ ٨ يقول الأخ المعلق إن في حديث المحاضر غموض، وان هذا الغموض قد يثير في ذهن المستمع أو القارىء أوهاماً، وان بعض العبارات في الحديث عن الله مرفوضة لما تثيره من ظن بالتشبيه.

والجواب هو أن في كل كلام محكم ومتشابه، وأن الكلام يرمى بالغموض عندما تكون الفكرة مستهجنة فيحمل مسؤوليتها، فالمخرج في تصريحات الكاتب عما كتب أو المحاضر عما قال. فاذا جاءت « الأوهام » مخالفة لصريح ما قيل أو كتب، كانت مردودة. واذا جاءت في غياب التصريح كانت استهجاناً إلى بقية ما قيل أو كتب ليكشف غمته.

الشيخ مناع القطان :

١ ـ يعترض الأخ المعلق على القول بأن الشهادة « لا إله إلا الله » سلبية في مظهرها ويؤكد ان فيها سلب وايجاب.

لم يقل المحاضر أن الشهادة كلها سلب، أو أن ليس فيها ايجاب، بل على العكس، قال ان الشهادة التي تبدو وكأنها سلبية تحمل أعظم وأغنى المعاني الايجابية، ولا ينكر ان فيها سلب. ولا يجوز فصلها عما تبعها من كلام عن المعاني الايجابية الكامنة فيها.

٢ ـ يدعي الأخ المعلق أن التوحيد ليس تصوراً عاماً للحقيقة بل انه يعطي تصوراً عاماً للحقيقة، مؤكداً أن الفرق بين التعبيرين عظيم.

لا بأس من القول بأن التوحيد يعطي تصوراً. لكن الفرق بين هذا وكلام المحاضر ليس عظيماً، بل هو غير موجود. ولو تأمل المعلق محتوى « تصور عام للحقيقة » لأدرك أن ما من شيء يجده في التوحيد إلا وجاز إدخاله في « التصور العام للحقيقة ». ذلك أن الحق أو الحقيقة يمسّان كل ما في التوحيد ولا يخرج عنهما شيء. ذلك أنه ان خرج عن مسهما شيء كان غير حق أو غير حقيقة، وهذا ما لا يوجد في التوحيد.

٣ ـ يعترض الأخ المعلق على القول بأن « اختلاف الأديان وتعددها مرجعه التاريخ وما يؤثر فيه من تغيير وهوى.. » يوهم بالتساوي بين الأديان كلها « ويساعد على « إذابة الإسلام في المفهوم الديني العام ».

أ ـ وهل ينكر أن الأديان في أصلها كلها واحدة ؟ وأن ما تبدّل منها فأصبح مغايراً لدين الله هو ما جاء به التاريخ بمؤثراته المتنوعة ؟ هذا هو

المبدأ الذي يفرق به المسلم بين الدين القيم، دين الله الحق، والأديان بأشكالها المختلفة.

ب ـ أما مبدأ حسن الظن بالظاهر إلى أن يثبت خطؤه، فهو ما حدا بالنبي ﷺ بتقبل مسيحيي نجران ضمن نظامه السياسي وجعل خلفاءه الراشدين رضي الله عنهم يعتبرون مسيحيي الشام ومصر أهل ذمة. ولو أثبت المسيحيون شركهم بالجهر بالتثليث وتجسيد الله في المسيح لحاربهم الرسول عليه الصلاة والسلام وخلفاؤه الراشدون.

جـ ـ هذا المذهب لا يذوب الإسلام في المفهوم الديني العام. بل على العكس هو ينقل المعركة إلى ديارهم فيحاسبهم على تطور دينهم وذلك بأنه يدعو إلى فرز ما أضيف على دينهم وحرف فيه عن الدين الأصلي المنزل. لكن هذا يوجب الاعتراف بأن في دينهم أصلاً صحيحاً أضيف اليه وحرّف.

٤ ـ لا غرابة في وصف « الإرادة الشرعية » أي « وظائف الدين وتكاليفه التي ائتمن عليها العباد » بالأخلاقية. فهي كلها أخلاقية ولا يجوز نفي الأخلاقية عن أي جزء منها. أما تعريف الأخلاق بالتجمل فقط مما يخرجها عن الالتزام بالأوامر والنواهي الالهية. فهذا لا ينطبق على الكلمة « أخلاقية » بحد ذاتها، وان صح عن بعض النظريات الأخلاقية.

٥ ـ في كلام الأخ المعلق فيما أرى تناقض. فهو يعترف أن الإنسان أكمل من الملائكة وأرفع منهم درجة إذا أطاع الله، ويعود فيقول أن الملائكة أعلى لأن جنسهم أفضل من جنس البشر.

ان قدرة الإنسان على العمل الاخلاقي ـ أي طاعة الله اختياراً ـ تميزه عن الملائكة تمييزاً جوهرياً. الجنس أعلى من العمل وأعم. فاذا كان الجنس أفضل بطل مفعول العمل أو علا الجنس عليه. وهذا ما تقوله العنصرية وهي التي تعتمد الجنس مبدأ أولياً.

د. عبد الله الزايد :

١ ـ ظاهرة السلبية في الشهادة.

علق عليها بما فيه الكفاية. إلا أن الأخ المعلق هذا ينكر الظاهرة ثم يقول بأن الشهادة مشتملة على النفي والاثبات.

٢ ، ٣ ، ٤ ـ التعليقات هذه مقبولة، ولكنها ذوقية. وقد قيل ما فيه الكفاية عن مصطلح « عالم الله ».

٥ ـ يعترض الأخ المعلق على وصف الله بالمحرّك. ولكن، هل من غضاضة في وصف الله تعالى بكونه مصدر الحركة في الكون ؟ هل من وجود دون حركة ؟ أو ليس الله تعالى هو المحرّك لكل شيء ؟.

ويقول الأخ المعلق بأن البشر فطروا على معرفة الله وأنه هو الخالق، لكن معرفتهم لأوامر الله وارادته لا تكون إلا بالوحي. أليس لله سنن في الخلق، وفي أنفس البشر، وفي الآفاق، يعرفها الانسان بالنظر والتأمل والعقل ؟ أليست هذه السنن من أوامر الله وارادته ؟.

أما باقي التعليقات في هذا البند فهي مقبولة، وان كانت ذوقية.

٦ ـ ملاحظة ذوقيــة.

٧ ـ يستحسن الأخ المعلق عدم وصف التوحيد بأنه مبدأ جمالي، ويوصي بالاكتفاء بأن الإسلام لا ينكر الابداع الفني.

المهم هو أن يتحكم التوحيد بالفن فيضبطه ويوجهه إلى الخير والحق، ويمنعه من التردي في الالحاد والرذيلة والمنكر، ويقطع عليه سبيل تأليه الإنسان، وهي مصيبة الانسانية الكبرى في هذا الميدان.

د. عبد الله محمد العجلان :

الملاحظات العامة :

الجواب عليها هو أن الأسلوب والمصطلحات المستعملة غريبة فقط فيما يبدو لمن لم يألف أعمال الفكر الحديث، وفي رأيي، فان من واجب المسلم أنّى كان أن يعرّف نفسه بما يجري في عالم الفكر في هذا العصر.

الملاحظات الخاصة :

١ ـ يعترض الأخ المعلق على قول المحاضر أن جوهر الحضارة الإسلامية هو التوحيد فيقول إن التوحيد لا يستقل عن الشريعة وان فعل فلا يصلح.

ليس الموضوع صلاح التوحيد ان استقل عن الشريعة، بل أولويته عليها. وهذه الأولوية لا تنكر. وقد اعترف الأخ المعلق بأنه يمكن أن يقوم التوحيد دون الشريعة. فهذا يكفي لاعتبار التوحيد أكثر أولية من الشريعة. وهذه الحقيقة سهلة الادراك عند السؤال : هل يمكن لشريعة الإسلام أن تقوم، بل حتى وأن تنفع، اذا لم يقم التوحيد قبلها ؟ يقابل هذه الحقيقة ويسندها قوله تعالى : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ».

لم يستعمل المحاضر كلمة الجوهر بمعنى الحجر الكريم أو الشيء الثمين. فالكلام فيه لا محل له.

٢ ـ ينكر الأخ المعلق أن أشمل مبدأ في الإسلام هو التوحيد. فهو يستثني من شمول التوحيد العبادات والمعاملات والقضاء. ولعله جانب

الصواب في الشمول المنطقي. وهذا بيّن في كلامه عن التوحيد كجوهر. يقوم الشمول على علاقة ضرورية بين الشامل والمشمول لا يقوم المشمول إلا إذا قام الشامل، وعليه نسأل الأخ المعلق وهو الذي أتى بميزان الكفاية والنفع والصلاح، ما فائدة المعاملات والقضاء مع الكفر ؟ وهل تقوم في الإسلام إلا بقيام التوحيد ؟ وهل نحن مكلفون بالعبادات، من صلاة وصوم وزكاة وحج إذا كان هنالك أكثر من إله ؟ أو إذا كان الاله أحداً من الناس ؟.

وينكر الأخ المعلق أن مفكرينا في القديم كتبوا آراءهم في جميع الميادين تحت عنوان التوحيد. والحقيقة هي أنهم ساووا بين التوحيد والكلام، وأنهم أطلقوا اسم « الكلام » على علم يلم بالمبادىء الأولى لجميع الأشياء بما فيها أصول الدين والعقيدة والمنطق والماهية والمعاني والأخلاق والسياسة. (انظر مقدمة كتاب « كشاف اصطلاحات الفنون » للتهانوي، ففيها الكفاية. وان شئت المزيد فانظر تحت مادة التوحيد في موسوعة بروكلمان عن تاريخ الآداب العربية).

٣ ـ نعم تضمنت كلمة الشهادة السلب والايجاب. وقد قيل في هذا الكفاية.

٤ ـ يعترض الأخ المعلق على القول بأن التوحيد تصور عام للحقيقة كلها ولم يأت بدليل.

أنّى له أن يأتي بشيء واحد لا يمت اليه التوحيد بصلة ما. فالتوحيد هو التأكيد بأن الله خالق ومقدر وعالم لكل شيء سبحانه.

٥ ـ اعترض الأخ المعلق على اصطلاح « عالم الله » لكنه لم يأت بجديد. وقد قيل في هذا الموضوع الكفاية.

٦ ـ يعترض الأخ المعلق أنه « لا يقال بالانفصال اذا لم يحصل اتصال من قبل حتى يكون الانفصال ».

اذا وصف النار والماء بأنهما منفصلتان، لا صلة تربط بينهما قط، فهل هذا يفترض أنهما كانتا في يوم سابق متصلتين، أو شيئاً واحداً ؟ وبالطبع فأنا لا أتفق والأخ المعلق في منطلقه هذا.

٧ ـ اعتراضاً على القول بأن لا صلة بين الخالق والإنسان إلا بقوة العقل، يقول الأخ المعلق بأن هنالك صلة قائمة بينهما هي صلة الخلق.

ليس الخلق موضوعاً للحديث هنا. انما الموضوع هو تأكيد استحالة الصلة المكونة أو الوجودية، أي الصلة التي تلزم أن يصبح المتصل به في وجه من الوجوه، فتكون النتيجة تأليه الإنسان أو أنسنة الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

٨ ـ اعترض الأخ المعلق على تسمية سنن الله بإرادة الله محتجاً بأن السنن أعم من الارادة.

والعكس في رأيي هو الصحيح. فما من سنة في الكون إلا أرادها الخالق. وقال ان الارادة الإلهية نافذة، أراد الخلق أم أبوا.

فات الأخ المعلق أن المقصود هو السؤال : لماذا وجد الخلق ؟ طالما أن الخلق ليس أزلياً فلا بد أنه خلق لغاية أو استمر لغاية خارجة عنه. والخارج عن الخلق هو الله وحده.فكل ما عداه مخلوق. فغاية الخلق هي تحقيق هذه الغاية. ولا غاية إلا بإرادة الله.

١٠ ـ كلام الأخ المعلق هنا مرادف لما قاله المحاضر. أما قوله بعدم صحة القول بالتفاضل بين القيم الاخلاقية والنفعية فهو لم يدعمه بدليل.

١١ ـ يقول الأخ المعلق : إن المحاضر قال : إن التوحيد ليس من عند الله، وهذا ليس صحيحاً، بل هو عكس ما قاله المحاضر وهو أن التوحيد من عند الله، وأن الحضارة الإسلامية ليست من عند الله. ذلك أن الحضارة تطبيق للجوهر الذي هو التوحيد. ومن جهة أخرى، تشمل الحضارة أشياء كثيرة ووسائل وآلات وطرق عمل (تكنولوجيا) لا يجوز نسبتها إلى الله تعالى وما أبعد كل هذا عن قول المستشرقين. فالمعلق لا يعرفهم وان قرأ فهو ما ترجم وهو جد قليل.

ولم يقل المحاضر إن الله سبحانه « أخذ موادها من الحضارات القديمة وصهرها ». انما هو المسلم الموحد الذي أخرج الحضارة في ظل ما أنزل الله، وتحقيقاً لأمره وتوجيهه، واتباعاً لاسوة رسوله الكريم ﷺ. فكان التوحيد المبدأ الأول والمعيار الأخير الذي أقيمت الحضارة الإسلامية عليه.

ولم يقل المحاضر بأن الشريعة ليست من عند الله. فهذا استنتاج غير دقيق من الأخ المعلق. اذ ليست الشريعة هي الحضارة، انما الشريعة موجهة المسلم في بناء حضارته.

إن ما تعنيه كلمة الحضارة شيء ينمو ويقوى ويضعف ويتقدم ويتأخر. وهو مرتبط بالتاريخ وعجلته. تقوى الحضارة على هضم أشياء غريبة عنها، كما هضمت الحضارة الإسلامية المروءة والثقافة العربية، والعلوم الاغريقية، والفارسيية والهندية، وطبعتها جميعاً بطابعها الإسلامي.

الجوهر لا يضاف اليه شيء. هو المبدأ الذي بموجبه تجري الاضافة ويجري الصهر والتخريج الجديد. ولو تغير الجوهر لتغيرت الحضارة بالضرورة.

ان الآيات القرآنية الكريمة التي ذكرها المعلق كلها تتحدث عن الوحي المنزل، لا عن الحضارة، موضوع البحث.

لم يقل المحاضر « إن الحضارة الإسلامية مقتبسة من الحضارات القديمة »، إنما قال إن موادها مقتبسة من الحضارة العربية والحضارات القديمة الأخرى.

١٢ ـ ليس في تعليق الأخ المعلق ما يحتاج إلى جواب. اذ لا تكون ممارسة السعة على حساب الشريعة الإسلامية. وان خالفت الشريعة فهي غير مقبولة.

١٣ ـ اتهم الأخ المعلق المحاضر بأنه قال ان الديانات كلها واحدة أصلاً وتفصيلاً.

هذه التهمة غير صحيحة. وهي تتنافى مع ما قاله المحاضر. اذ قال إن أصل الديانات واحد، ومظاهرها في التاريخ شتى. فالأصل من عند الله، والمظاهر من عند البشر. وليس من المسؤولية قط أن يحمل المعلق كلام المحاضر محمل « وثالثة إسلامية ».

كذلك ، لم يقل المحاضر بأن أفعال العباد من حيث أدائها من صنع الله تعالى، ولا أن مسؤوليتها تقع على الله بدل أن تقع على فاعليها، انما المراد هو أن كل ما يحدث في الدنيا يحدث بعلم الله وقضائه وقدره وترتيبه،

فلا يفوته منها شيء. وهذا تفريق لناحيتين أو ظاهرتين في فعل الإنسان، ناحية الاداء وكسب الثواب والعقاب. وهي من فعل الإنسان. ثم ناحية الوجود والكيان والحدوث المادي، أي الخلق والتقدير، فهي من صنع الله تعالى.

١٥ ـ واعترض الأخ المعلق على قول المحاضر بأن التوحيد مبدأ جمالي.

إلا أنه، في اعتراضه هذا فيما يبدو قد خلط بين ما ذكره المحاضر عن الفن الإسلامي لينفيه، وما ذكره ليؤكده ويثبته. فالفن الذي يرى في الأشياء جوهراً ما ورائياً يحاول تصويره وابرازه هو الفن الغربي لا الفن الإسلامي. ولهذا السبب بالذات، قال المحاضر إن الفن الغربي يجر إلى الالحاد أو ينطوي عليه. ولهذا أيضاً ابتعد الفن الإسلامي عن التشكيل والتصوير والدراما. إلا أن المعلق فيما يبدو لم يتبين ما قيل عن الفن أنه له أو عليه.

وأخيـــراً :

إذا استثنينا تعليقات الدكتور جعفر شيخ ادريس التي جاءت في مادة الموضوع، فان فحوى التعليقات الأخرى تتعلق في جوهرها باللغويات. حتى ما كان منها مناف لما قاله المحاضر أو بعيداً عن ذلك نصاً أو مقصداً، وذلك فيما أرى مرده إلى عدم اتضاح ما قاله المحاضر في الغالب عند الأخوة المعلقين.

فما القول في هذه المصاعب اللغوية.

انها تبدو لغوية، ولكن ذلك في مظهرها فقط. فما معنى ان يقرأ عالم أو مثقف من علمائنا ومثقفينا بحثاً باللغة العربية فتأتي جميع الملاحظات على البحث، اما اعتراضات على اللغة، أو اعتراضات سببتها لغة البحث ؟.

الجواب هو أن هذه المصاعب، ان دلت على شيء فهي تدل على عدم ممارستنا في العصور المتأخرة للتفكر بالعمق ـ الواجب ـ أمور ديننا وحضارتنا في ضوء تحديات العصر ومشكلاته ومعطياته ـ فيما أرى ـ حديث في مخاطبة بعضنا البعض في مواضيع الفكر الإسلامي. فكم مجلة في العالم الإسلامي كله تعالج الفكر الإسلامي على مستوى علمي مناسب ؟ وكم قراؤها ؟ لعل هذا هو النقص المعيب.

لا أكن للاخوة الذين تفضلوا بالتعليق على هذه المحاضرة إلا الاحترام والتقدير والاخوة والمحبة. فهم اكرموني بانتقاداتهم، وزادوا في علمي وحكمتي باقتراحاتهم وتوصياتهم.. جزاهم الله عني خير الجزاء.. ووفقهم واياي إلى طاعته ورفع كلمته، انه سميع مجيب..

أعز الله الإسلام ديناً، وهيأ لأمته من أمرها رشداً، وأيدها بنصره وفتحه..

د. اسماعيل راجي الفاروقي

أستاذ الإسلاميات وتاريخ الأديان